

معجزة القرآن

٩

الشعراني

OLIN

BP

130

.7

5529

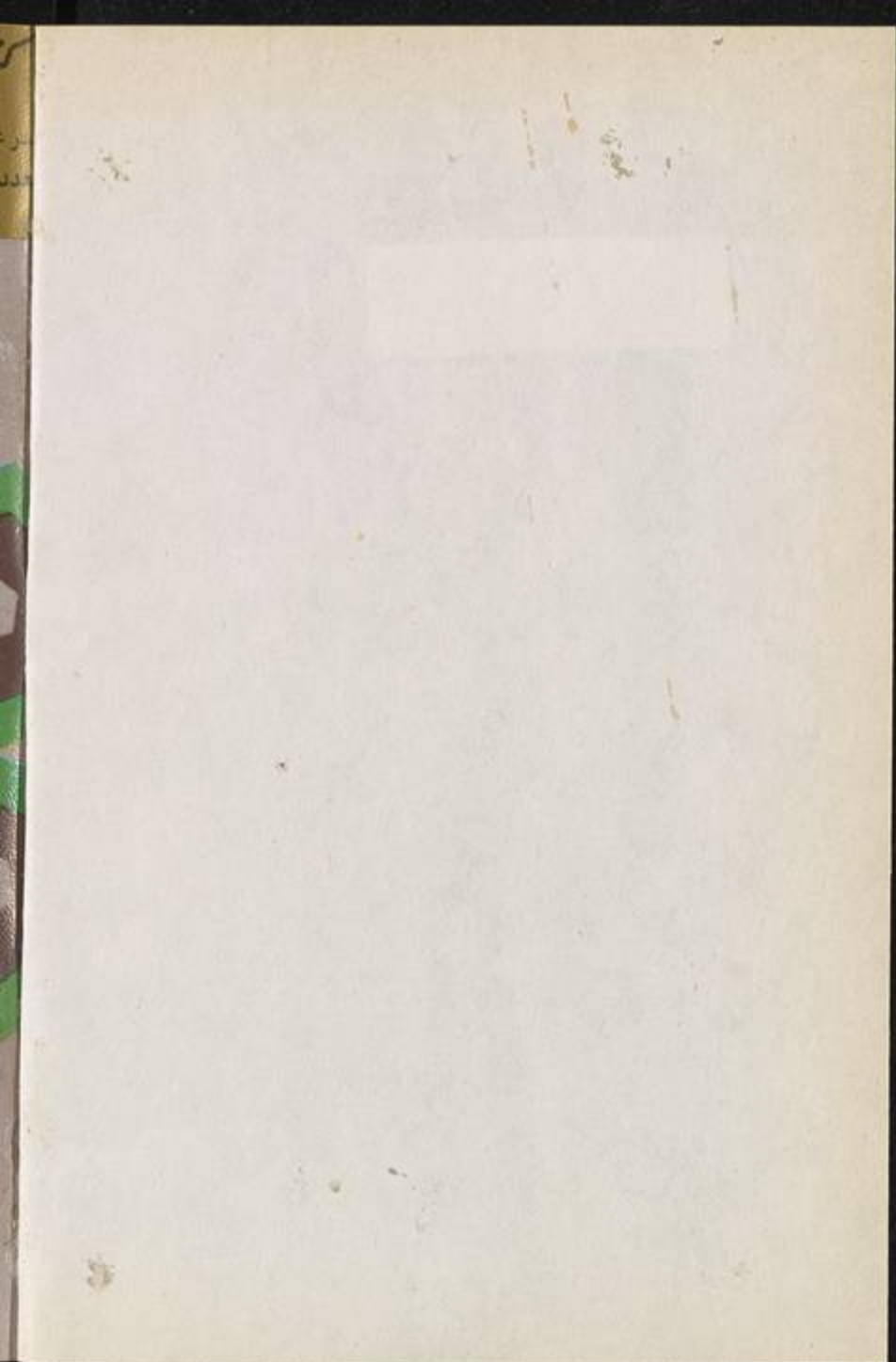
Jul 2 '9



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 059 116 529









صورة الشيخ الشعراوي بريشة : مصطفى حسين

الغلاف : محمد عفت

الجزء التاسع

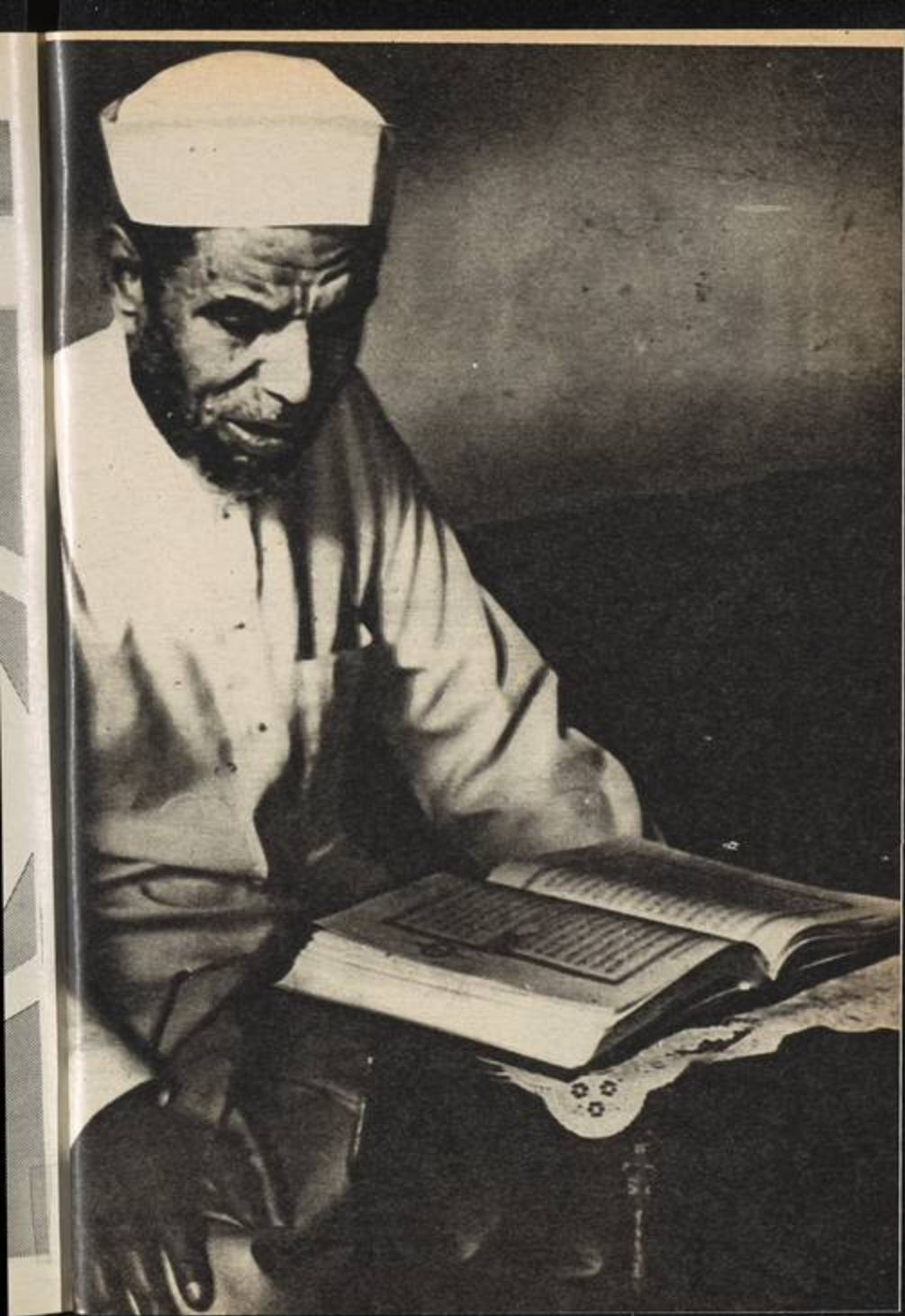
محمد متولى الشعراوى

معجزة

القرآن

● العدد ٢٦٨ ● رمضان ١٤٠٧ هـ





■ الفصل الأول ■

معنى القيامة

موضوع هذا الكتاب والكتب القادمة من (معجزة
القرآن) سيكون عن يوم القيامة .. وقد يتساءل
القارئ : لماذا اخترنا بالذات موضوع يوم
القيامة ، مع انه يدخل في عالم الغيب .. نقول :
إن الاسس في الايمان هو الايمان بالآخرة .. وبأن
هناك حسابا .. وبأن الله سبحانه وتعالى
سيستدعينا يوم القيامة يحاسبنا عما فعلناه في الدنيا .. والدنيا هي
دار الاختبار .. والآخرة هي موعد الجزاء .. والذين يوقنون أنهم
سيلاقون الله يوم القيامة يحسبون لذلك اليوم الف حساب .. ولو أن
كل إنسان تذكر هذه الحقيقة لصلح أمر الدنيا .. ذلك لأن كلا منا
سيحاسب نفسه قبل ان يحاسبه الله سبحانه وتعالى .. ولكن الناس
نسوا يوم الحساب ، وانطلقوا مع أهوائهم يفعلون ما تشتهي
انفسهم ، ويرتكبون المحرمات .. ويعتدون على الحرمات ..
ويأخذون المال الحرام .. تاسين او متناسين ان هناك يوما قلما
رهيبا يجعل الولدان شيبا .

ولعل هذا الكتاب ، والكتب القادمة ، تكون تذكرة لهؤلاء ..
ولعلمهم إذا قرأوه استيقظت الضمائر ، واحس الناس بهول
ما يفعلون .

هذه مقدمة قصيرة كان لابد منها لايضاح الهدف الذي نسعى
إليه .. ذلك ان أمور الغيب دائما هي الباب الذي يدخل منه

الشیطان ، سواء كان من شياطين الانس ، او من شياطين الجن ..
يدخل منه إلى النفوس الضعيفة .. لماذا ؟ لاننا لا نرى الغيب ..
ولمنا لا نراه فهو محجوب عنا .. ذلك ان الايمان اساسا هو إيمان
بالغيب .. او إيمان بما هو غيب .. ذلك انك إذا رايت شيئا فلا تقول
إنك تؤمن به .. لانك تراه راى العين .. رؤية يقين .. والايمان ليس
مطلوبا في الحسيات والمشاهدات .. ولكنه مطلوب في الغيب .. فيما
هو غيب عنا .

ولقد اوضح الله سبحانه وتعالى مطلوبات الايمان في بداية كتابه
الكریم وفي اول سورة البقرة .. إذ يقول تعالى :

الَّذِينَ هَدَىٰ لِلتَّقْوَىٰ ۗ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُوْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ
يُوْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

إذن فالإيمان بالغيب واليقين باليوم الآخر هما من أهم علامات
الإيمان .. ذلك ان اليقين بالآخرة قضية هامة جدا ، تحكم السلوك
الانسانى فى الدنيا ، وتردع كل من تسول له نفسه ان يغتر بسلطان
او بقوة او بنفوذ .. فيطلق لنفسه شهواتها ، ويعتدى على حقوق
الناس .. دون ان يكون هناك وازع .. ولكنه إذا عرف يقينا انه
سيقف بين يدي الله ، فإن ذلك سيكون رادعا قويا لشهوات نفسه

ولظلم غيره .. فانت تخشى الله سبحانه وتعالى إذا كنت تؤمن
بالآخرة .. فإذا مددت يدك لتسرق فتذكر انك ملاق الله ، وانه
سيحاسبك فتمتنع عن السرقة . وإذا اريدت ان تاكل حقوق الناس
بالباطل ، وتذكرت انك ستلقى الله ارتعدت نفسك ، وابتعدت عن
ظلم الناس ، واكل حقوقهم .

وهكذا كل شيء في الدنيا مادمت على يقين بانك ستلقى الله يوم
القيامة . فإنك تتبع السلوك الايماني ، خوفا من عذاب الله .. وطمعا
في رضاه وجنته .



عين اليقين

هناك علم يقين .. وعين يقين .. العلم الذي نأخذه عن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون علم يقين .. لأنه صادر عن الله .. ومادام الله سبحانه وتعالى قد قال .. فللمؤمن يوقن أن ذلك سيحدث حتما ، وكأنه يراه أمامه .. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في سورة التكاثر :

الْهٰكِمُ الَّذِى كٰثُرٌ ۝١ حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَو تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨

فإذا كانت عين اليقين هي المشاهدة كما سيحدث في الآخرة عندما نرى جهنم .. فإنه لا بد أن يكون في قلوبنا علم اليقين ، لأنه مادام الله سبحانه وتعالى قد قال فهي موجودة كأننا نراها .

وأساس السلوك البشرى في الدنيا هو الإيمان باليوم الآخر .. فإذا لم يكن إيمانك بهذا اليوم إيمان يقين ، أى لا يدخل إليه الشك أبدا .. تكون قد اهتززت ، ويستطيع هنا أى شيطان أن يدخل إلى قلبك ليوهمك أن كل حديث عن الغيب هو غير صحيح ، أو غير واقع . وحينئذ يتغير السلوك الإيماني كله .

فمادام ليس هناك حساب فمن تخشى؟ .. ومن تخاف؟ .. ومن الذى يرفع يدك عن ضعيف تغتصب حقه إلا إيمانك بالآخرة والحساب .. ومن الذى يقفك عن أن تاكل أموال الناس بالباطل ،

وتبغى في الأرض ، وتفرك قوتك .. من الذى يقول لك : قف مكنتك ..
هو الايمان بالآخرة . لانك في هذه الحالة ستحس بان كل عمل تعلمه
مكتوب عليك .. وانك إذا كنت قويا جبلا في الأرض فستكون ضعيفا
ذليلا في الآخرة . لا ناصر لك . ولا معين املم الله .

إن لولا الايمان بالآخرة لتحولت الدنيا كلها إلى مجموعة من
الوحوش .. الضعيف يفتك بالقوى .. ويعتدى القادر على غير
القادر .. ويضيع الحق .. والعجيب ان المؤمن والكافر يخشيان
حساب الآخرة .. ولعل التساؤل يكون كيف لانسان لا يؤمن بالآخرة
ان يخشاها .

الكافر حقيقة لا يؤمن بالآخرة .. ولكن الموت الذى يراه كل يوم في
حياة غيره يملا حياته هو بالرعب والفرع ، وينغص عليه عيشته ،
وهو يرى الموت كل يوم في حياة الوف غيره .. بل في حياة أقرب
الناس إليه . والسؤال يلح عليه دائما : إلى أين ؟ .. إلى أين ؟
يحاول ان يأتى بالدليل تلو الدليل ولو زيفا .. ولو تضليلا .. يحاول
ان يقنع نفسه ان لا شيء بعد الموت ، حتى يستطيع بهذه الفرية ان
يهون على نفسه ارتكاب المعاصى .. وهو يبرر لنفسه دائما
ما يفعله .. السارق يقنع نفسه بانه ياخذ حقه من المجتمع بيده ..
والمعتدى على حقوق الآخرين يبرر ذلك بان هذا هو حقه .. والمهم ان
الايمان الفطرى في كل نفس يؤرق صاحبها ، ويحاول ان يجد تبريرا
لكل المعاصى التى يرتكبها .. مامن حاكم ظالم إلا اقنع نفسه بانه
مصلح اجتماعى .. وما من اخذ للمال الحرام إلا زين لنفسه ان هذا
جهده وماله .



منهج الحياة

نبدأ بعد ذلك في بيان منهج الحياة ، وكيف ان الله سبحانه وتعالى اعد هذا المنهج لاسعاد البشر في الأرض .. وكيف ان البشر افسدوه بأهوائهم ومخاوفهم ممن هم دون الله .. الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بكمال قدرته وحده .. فلا احد يستطيع ان يقول او يدعى مهما بلغ من القدرة والقوة انه شارك الله سبحانه وتعالى في الخلق .. فقضية الخلق بالنسبة لله وحده هي قضية محسومة لاجدال فيها .. فاش خلق السموات والأرض والجبال والبحار والأنهار والزرع والنبات والحيوان والإنسان والجن والملائكة .. والله اخبرنا انه هو الذى خلق ولم يستطع ولن يستطيع اى ممن خلق الله ان يدعى انه خلق هذا الكون .. ومن هنا فالقضية محسومة لله سبحانه وتعالى وحده .

وسخر الله سبحانه وتعالى كل ما في الكون لخدمة الإنسان .. فالشمس تشرق لتحفظ الحياة في الكون .. وهي اقوى من الإنسان ملايين المرات .. ولو اقتربت من الكون بضعة كيلومترات لاحترق الكون كله .. ولو ابتعدت عن الكون بضعة كيلومترات لتجمد الكون كله .. ولكنها مسخرة من الله سبحانه وتعالى لتخدم الإنسان .. والرياح تعطى الإنسان الهواء اللازم لحياته ، ولو ذهب ما بقيت الحياة .. ولو استخدمت قوتها لدمرت الكون كله .. كذلك البحار تستطيع ان تغرق الأرض في ثوان معدودة ، ولكنها مسخرة لخدمة الإنسان .

إن كل قوى الكون ، بما فيها من جماد ونبات وحيوان ، مسخرة لخدمة الإنسان .. وهذا التسخير ليس ذاتيا .. لأن الشمس لا تستطيع ان تقول انا ساشرق اليوم واحتجب غدا .. لأنها مسخرة بأمر ربها لا تملك الاختيار .

ارتقاءات الأجناس

كل جنس من اجناس الكون هو مخلوق من الله سبحانه وتعالى بذاتية معينة وقوانين محددة . وفيه التقاءات .. ولكن لا يستطيع اى جنس ان يرتقى إلى صفات الجنس الآخر .. وإنما يقف عند حدود هذه الصفات .. فالجماد آخر ارتقاءاته هو النمو . وهذه اولى خصائص النبات .. فتجد الشعب المرجانية لها خاصية النمو ، ولكنها تقف عند ذلك .. ولا تصل إلى خاصية التنفس مثلا الموجودة في النبات .. فالنبات له خاصية النمو والتنفس وإعطاء الثمار .. ويصل إلى اول مرتبة من مراتب الحيوان وهي الحس .. فتجد عبدا من النباتات إذا لمستها انفعلت لك .. كالسبت المستحية .. كما يطلقون عليها إذا لمستها ضمت أوراقها .. وبعض النباتات النادرة في الغابات الاستوائية إذا لمسها الإنسان أمسكت به ، ولكنها لا تستطيع ان ترقى إلى خاصية الحيوان .. وهي الحركة التي هي اولى مراتب الحيوان .. والحيوان يملك الحركة والحس ، وله خواصه .. واعلى مراتب الحيوان هي القرودة . اولئك اقرب الاجناس الحيوانية إلى الانسان ، ولكنها لا تستطيع ان تصل إلى مرتبة العقل .. فلم نسمع عن مجموعة من القرودة عقدت اجتماعا لتبحث كيف ترتقى بحياتها .. ولم نسمع عن اى نوع من الحيوان يستطيع ان يرث الحضرة عن بنى جنسه ويرتقى بها ليضع التقدم في حياته .. قد يستطيع الانسان ان يدرّب حيوانا على عدد من الاعمال ، ولكن هذا تدریب فردى بموهبة الانسان .. فلا يستطيع قرد مدرب ان يدرّب ابنه ، ولا يولد قرد مدرب يرث صفات ابيه التي اكتسبها بالتدریب

والانسان هو خليفة الله في الأرض . اعطاه العقل ليميز بين الأشياء ويرث الحضارات .. ويبدأ كل جيل بما انتهى إليه الجيل الذى قبله ويضيف إليه . والعقل البشرى يستطيع ان يرث الحضارة ويبدأ من حيث انتهى الذين سبقوه ، ويضيف إليها .. وهذه ميزة الانسان وحده .

والله سبحانه وتعالى خلق الانسان ، وسخر له هذا الكون كله ، وجعل في الكون آيات بينات يستطيع العقل البشرى ان يصل إليها بسهولة .. فكل ما في الكون من خلق وإعجاز هو آية من آيات الله تلفتنا إلى عظمة الخالق وقدرته .. ونحن حين نتدبر هذا الكون بنظمه الدقيق الذى لا يختل ثانية واحدة .. وبعظمة الخلق فيه .. وبالنعمة التى تملؤه ، نجد اننا نصل إلى حقيقة هامة .. وهى انه لا بد ان يكون لهذا الكون خالق .. قوة هائلة خارقة معجزة هى التى صنعت لنا كل هذا .. فنحن لم نصنعه لانفسنا .



الجسد .. والإرادة

حين نتدبر في خلقنا .. وفي الجسد البشرى الذى تعمل معظم أعضائه بدون إرادتنا وبدون سيطرتنا عليها .. وبدون حتى إحساسنا بعملها .. نحس انه لابد انها تعمل بإرادة خالقنا .. فالقلب يدق ، ونحن لا ندرى به ، وهو غير خاضع لنا .. فالقلب ينبض بدون إرادتنا وبدون أن نحس به ، ولا نستطيع أن نقول له : توقف عن النبض فيتوقف .. ولا أن نعطيه ساعات لا ينبض فيها ليستريح .. والرئتان تقومان بعملهما فى تنقية الدم ، وإخراج الهواء الفاسد ، واستقبال الهواء النقى . ونحن لا ندرى عن هذا شيئا ، ولا نستطيع أن نصدر أمرا إلى الهواء بالا يدخل ، أو إلى الرئتين لتتوقف عن العمل . بل إننا حينما وصل إلى المعلومات الدقيقة عما يحدث فى الرئتين نذهل مما يحدث فى أجسادنا ، ونحن لا ندرى .. وكذلك المعدة والكبد والأمعاء .. كلها تؤدى وظائفها بدون تدخل منا ، أو خضوع لإرادتنا .

والحواس عندنا تقول لنا : هذا حلو المذاق ، وهذا مر .. وهذا بارد ، وهذا حار ، وتؤدى ملايين المهمات بدون أن نعرف عنا شيئا ، وإن كنا نستفيد بها .

بل إن الأشياء الظاهرة التى تخضع لقدراتنا هى مسخرة لخدمتنا من الله سبحانه وتعالى .. فالقدم تمشى بأمر صاحبها ظاهريا .. ولكنها فى الحقيقة تتحرك بأمر الله .. ولو كان تحركها من ذاتنا ما وجد من له قدمان ولا يستطيع أن يمشى ، لأنه مشلول . والعين تبصر بأمر الله ، وإن كانت تخضع لنا ظاهريا .. ولو كانت تبصر بقوة ذاتية منا ما وجد من له عينان ولا يبصر .. وكذلك كل الحواس الأخرى .

إن فنحن نستخدم عقولنا لتوصلنا إلى أن لهذا الكون ولنا خالقا
أوجد كل هذه النعم وأوجدنا .. ولكن هذه العقول لا تقول لنا شيئا
عن الخالق .. ولا ماهو اسمه .. ولا ماذا نفعل لنشكره على نعمه
علينا .. ولا ماهي مراداته منا .. ومن هنا كلنا لابد ، لكي يكتمل
المنهج ، ان يرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليبيّنوا لنا ماذا يريد الله
منا .. وكيف نشكره على نعمه .. ولذلك جاءت الرسل مبلغة عن الله
لتقول لنا : إن خالق هذا الكون هو الله .. وأنه قد أعد لنا جنة
عرضها السموات والأرض ، ينعم فيها من أطاعه .. ونارا يعذب فيها
من عصاه .. وإن الله سبحانه وتعالى قد وضع منهاجاً للإنسان في
الحياة .. وهذا هو المنهج .

ولم يكن الله سبحانه وتعالى ، رحمة بنا ، ليضع لنا المنهج ، ثم
يتركنا لنطبقه كل حسبما يرى .. ونفسره كل على قدر اجتهاداته .
ولذلك اختار رسله من البشر .. من جنسنا حتى لا نقول : يارب إن
هذا المنهج يعجز عنه البشر .. فلو أن الله أرسل ملكا رسولا ،
أو خلقنا من غير جنس الإنسان ، لقلنا : يارب لا نستطيع لأن هذا
الرسول ليس من جنسنا .. إنه يملك قدرات أكبر .. ولكن كون
الرسول بشرا أعطانا التطبيق العملي لمنهج الله بقدرة البشر ..
تطبيق الرسالة محروس بمنهج السماء .. يرينا كيف يريد الله
سبحانه وتعالى أن يطبق منهجه في الأرض ، وحتى يكون التطبيق
إمامنا عمليا .

ولقد لوكل الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يحافظ على المنهج ..
ولكن الناس حرفوا منهج الله .. فادخلوا فيه أشياء لم يطلبها ،
ولكنها تخدم أهواءهم البشرية ، وحرفوه وأضافوا إليه .. لذلك جاء
القرآن الكريم ، منهج الله وخاتم الرسالات ، ليكون محفوظا بقدرة
الله ، لا بقدرات البشر .. فلا يدخل إلى القرآن تغيير وتبديل بشري ..
ولا ينسى منه حرف ، ولا يضاف إليه حرف .. بل يبقى خالدا إلى يوم
القيامة .

معنى منهج الله

ماذا أراد الله سبحانه وتعالى بالمنهج ؟ .. أراد أن يحكم به أهواء النفس .. فكل ما ليس فيه هوى بشرى تركه الله سبحانه وتعالى ليستنبطه الانسان من الكون بدون أن يتدخل فيه منهج الله بأفعل ولا تفعل .. فالعلوم الصماء التي مكانها المعمل لا يتدخل فيها منهج الله إلا أن يحيطها بقيم اخلاقية .. فهذه لا خلاف عليها بين البشر .. فعلم الكيمياء مثلا أو الطبيعة أو الفلك أو غيرها .. نجد العلم كله فيها يتعاون مع بعضه البعض .. بل إن كل دولة تحاول أن تتجسس على الدولة المتقدمة في العلوم لتأخذ منها .. والجميع يتنافس في الوصول إلى أكبر درجات العلم المادى .. وهنا لا تتدخل الأهواء ، لأنه مادامت التجارب معملية ، فإن الأهواء لا يمكن أن تتدخل فيها .

ولكن هناك أمور الحياة ، والتي يتدخل فيها هوى النفس .. فبينما مثلاً نرى أمريكا والاتحاد السوفيتى يتسابقان إلى نقل العلوم عن بعضهما البعض .. نجد اننا إذا وصلنا إلى نظريات الحكم .. فكل دولة منهما تحاول أن تمنع نظريات الدولة الأخرى من الوصول إليها .. فأمريكا إذا وجدت فكرا شيوعيا قومته .. ووضعت من يعتقونه في السجون ، وربما حكمت عليهم بالموت .. والاتحاد السوفيتى إذا وجد من يدعو إلى النظام الراسملى شقته ! .. وهكذا نجد أن الصراع في الدنيا ليس على الحقائق العلمية .. فكل دولة تعطى علماءها الحرية كاملة مهما كانوا ليسعوا لكشف آيات الله في الكون .. ولكن عندما يدخل هوى النفس ، يبدأ الصراع البشرى حتى بين أبناء الوطن الواحد .. وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة

وتقوم الحروب الأهلية ، ويقتل الناس بعضهم البعض ، ويحدث الفساد في الأرض من قتل وتخريب وتدمير .. وكما من صراعات تدور الآن في دول العالم كله بين أهواء الإنسان .. وكما من حروب أهلية تشتعل بين اليسار واليمين . وبين الشيوعية والرأسمالية .. وبين الأهواء التي يريد كل إنسان أن يحققها ليسود ويحكم .. كل هذه الصراعات التي تدمر ولا تعمر .. والتي تريد أن تحقق نفعا ذاتيا لعدد من الأشخاص على حساب غيرهم ، هي آفة الشقاء في الدنيا . ولذلك جاء منهج الله .. يحمي الحق .. ويعطي كل إنسان حقوقه بلا تمييز .. الله سبحانه وتعالى وحده هو القادر على أن يضع منهجا عادلا بين خلقه جميعا .. فهو خالقهم ، وهم جميعا عبيد له .. وهو سبحانه وتعالى لا يحابي أحدا على أحد .. ولا يميز شخصا على شخص .. لأنهم جميعا أمامه خلق متساوون .. وهو لا يطمع فيما في أيدي أي منهم .. فهو لا يطمع في مال أحد ، لأنه لا يحتاج إلى المال .. ولا يطمع في قوة أحد ، لأنه هو القوى العزيز .. ولا يطمع فيما يملكه أحد ، لأنه هو خالق هذا الكون ، وموجد كل هذه النعم .. يعطيها لمن يشاء ، وينزعها من يشاء .. والإنسان حين يضع منهجا إنما يضعه لخدمة مصالحه .. الرأسمالي يضع المنهج الذي يخدم حقوق أصحاب الأموال ، ويعطيهم وحدهم الميزات .. والشيوعي يضع ما يخدم اللجنة المركزية ، ويعطيها كل السلطات .. والدكتاتور يضع منهجا يعطيه وحده كل الحقوق ولا حق لغيره .. ولكن الله سبحانه وتعالى يضع المنهج الذي يحقق العدالة بين الناس جميعا ، لأنه غني عن كل خلقه .

إن من منهج السماء هو الذي يحقق العدل على الأرض .. ولا شيء غيره .. وكل ما يقال عن فصل الدين عن الدولة .. أو فصل الدين عن نشاطات الحياة مرفوض .. لأن كل هذه النشاطات ، بما فيها الحكم ،

تدخل فيها الأهواء .. ويظلم فيها الناس .. وتحدث منها الصراعات .. ولذلك فإنه لا بد أن يحكمها قانون إلهي هو فوق هذه الصراعات كلها .. يحمي حق الضعيف قبل القوى .. ويحفظ حق المظلوم قبل الظالم .. ويضع قواعد العدل بين الناس .
 وحتى لا تقتل الصراعات البشر على مطامع الدنيا وأهوائها .. بين الله سبحانه وتعالى أن هذه الحياة الدنيا هي حياة مؤقتة . مهما طال فيها العمر فإنه قصير .. ومهما امتدت فيها الأيام فإنه لا بد لها من نهاية .. وطلب منا الله إلا نجعل هوى النفس ، وشهوة النقود ، وسلطان المال .. وحب التملك يقضى علينا .. ويهلك النفس ، ويهلك الزرع ، ويهلك الخير .. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤)

وهنا قد يتساءل بعض الناس عن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ والرسول يدعو للأخرة وللجنة . فهل هذه الدنيا ليست هي الحياة .. نقول إن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان الحياة الخالدة في جنة النعيم ولا يريد أن يتخذ من الدنيا هدفا .. لأن الحياة الدنيا تقوم على الأسباب ، ولذلك يعاني فيها الإنسان .. في حين أن الحياة الآخرة نعيم مباشر من الله سبحانه وتعالى بلا أسباب .. والحياة الدنيا قصيرة وزائلة ، وهي امتحان للإنسان واختبار لطاعته سبحانه وتعالى .. لذلك لا يريد الله سبحانه وتعالى من خلقه أن يكون هدفهم هو الحياة الدنيا .. وأن ينسوا

الأخرة .. والله سبحانه وتعالى يريد ان يلفتنا إلى ان كل ما في الدنيا زائل .. وان الانسان مهما علا فيها ومهما بلغ ، فهو إما ان تزول عنه النعمة .. تنزع منه .. وإما ان يزول هو عن النعمة بالموت .. ولذلك فإن الحياة الحقيقية التي فيها الخلود .. والتي فيها النعيم الدائم هي الحياة الأخرة التي لا بد ان نلتفت إليها .. لأنها هي الحياة الحقيقية التي لا تزول .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

(العنكبوت (٦٤)

ولذلك يريد الله ان يلفتنا إلى حياتنا الحقيقية ، وليس إلى الحياة المؤقتة التي نعيشها في الدنيا .. فإذا طبقنا منهج الله في الدنيا ، حصلنا على الحياة الملية بنعم الله في الأخرة .
وليس معنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى يريدنا ان نترك الحياة الدنيا للكافرين .. إن هذا خطأ كبير يقع فيه عدد من الناس .. والذي حدث في الفترة الأخيرة ان المسلمين تركوا الأخذ بأسباب الدنيا ، والعمل على اكتشاف آيات الله في الأرض ، وركنوا إلى عدم العمل ، وإلى خلافات ونزاعات لا تفيد ولا تجدى .. واقصى أمنية للكافر ان يترك المؤمنون شئون الدنيا والعمل فيها ويقتصروا على العبادات فقط .. وتزول عنهم قوتهم ولا تعطيمهم الأسباب ، ويصبحوا فقراء لذلاء ضعفاء لا يقررون على حماية أنفسهم ، ولا يحققون من القوة والقدرة ما يجعلهم يسودون الأرض .
وإذا فعلنا ذلك .. فإننا نكون قد أخطأنا في فهم الاسلام .. ذلك ان الاسلام يسيطر على حركة الحياة كلها في البيت والمصنع والطريق والعمل .. وتاملوا قول الله سبحانه وتعالى في سورة الجمعة :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ① فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ②

الجمعة (٩ - ١٠)

ويلاحظ في هذه الآية أن الأمر بالسعي في الأرض مسلو تماما للامر
بالعبادة .. فلا يترك المسلمون السعي ويدعون أن الله قد امر
بالعبادة فقط .. فمنهج الاسلام يطلبنا أن نأخذ بالأسباب ، ونجتهد
في العمل ، ونسعى في الأرض بنفس القوة التي نأخذ بها العبادات .
ولقد جاء التشكيك في الدين الاسلامي في الفترة الاخيرة من ان
المسلمين تركوا السعي في الأرض فتأخروا وتحلفوا .. ثم بدلوا بعد
نك يتساعلون : ما هو السبب .. وهنا برز دور الكفر في محاولة
لاقناع الشباب المسلم بان سبب تخلفهم يكمن في الدين الاسلامي ..
وبدا بعض الشباب يستمعون إليهم .

ولقد ساد الاسلام الأرض الف سنة كانت فيها الأمة الاسلامية هي
منارة التقدم والعلم والحضارة .. حتى حينما اهدى هارون الرشيد
ساعة تعمل بالمياه إلى ملك فرنسا .. اعتقد علماء فرنسا أن هناك
شيطاننا داخل الساعة يحركها .

ما هو العمل .. للأخرة ؟ ..

إذا كان الدين الإسلامي يطلبنا بالعمل من أجل الآخرة ، فليست الصلاة وحدها هي العمل من أجل الآخرة .. ولكن السعي في الأرض هو عمل من أجل الآخرة .. وهو جهاد في سبيل الله .. والعمل في الإسلام عبادة .. وسعى الإنسان على رزقه ورزق أولاده هو نوع من الجهاد حث عليه الإسلام .. بل إن الله أمرنا بأن نتحرك في الأرض ليس على قدر محتاج فقط ، ولكن بما يزيد على حاجتنا .. وذلك حتى تتسع حركتنا للفقير والمحتاج والضعيف الذي لا يقدر على الكسب .. والصغير الذي يحتاج لمن يعوله . ولذلك فرضت الزكاة .. ولذلك حث القرآن على الصدقة والانفاق حتى لا يوجد في المجتمع الإسلامي فقير ولا عاجز عن الكسب إلا ويأتيه من عمل غيره ما يكفيه . وبهذه الطريقة عالج الإسلام الفقر .

لذلك يجب ألا نأخذ الدين على أنه في المسجد فقط .. أو أنه صلاة فقط .. لأن الدين الإسلامي يشمل حركة الحياة كلها .
ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢١﴾

(الانفال (٢٤)

أي اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يحول بينكم وبين ما تشتهي قلوبكم إذا اتخذتم طريق المعصية سبيلا . فلا تعتقدوا أنكم بمعصية الله تستطيعون أن تصلوا إلى ما تريدون .. بل إن الله سبحانه وتعالى قد يحول بينكم وبين ما تريدون ، فلا تحققوا شيئا مما تتمنون .. وتكون النتيجة أنكم خسرتم الدنيا والآخرة ..

ولعل هذا ما نراه كل يوم حولنا .. فكم من إنسان اغضب الله ليرضى صاحب نفوذ ، او صاحب سلطان ، او ليصل إلى منصب او جاه او مال .. ثم انقلب عليه صاحب السلطان هذا فبطش به .. او لم يستطع ان يصل إلى المنصب او الجاه او المال إلا بالمعصية .. بل ارتكبها ولم تحقق له شيئا .. وإذا نظرت حولك فستجد الكثيرين ممن حاولوا ان يحققوا هدفاً دنيوياً بمعصية الله .. وشاعت إرادة الله ان ينقلب عليهم ما فعلوه وبالا .. وكم من إنسان ارتكب المعصية ، واصبح في قمة النفوذ والمال والسلطان .. وبعد يوم وليلة تغير كل شيء حتى لم يجد ما يكفيه او يستره .

إن من منهج الله جاء ليحكم حركة الحياة في الأرض ، ويقيم العدل بين الناس .. ومع المنهج جاء التحذير بان من يريد الحياة الحقيقية فليرع الله في الدنيا ليصل إلى الحياة الخالدة في الآخرة منعا مكرما .. وإذا سيطر منهج الله على الحياة في الكون اعتدلت وامتلأت الدنيا خيرا ، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ ١٥ ﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

الْأَرْضِ أَمْنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

الاعراف (١٦)

ولو تصادمت الأهواء وتصارعت وبعدت عن منهج الله .. لانتشر الشقاء والخراب في الأرض .. ومن العجيب أننا نجد كثيرا من الناس ، بل والدول تنفق ما اعطاها الله من خير على الأهواء والصراعات .. ليضيع الخير كله ، وينقلب شرا وبالا على الجميع . وحين يبتعد الناس عن منهج الله ويتبعون أهواءهم ، وتفسد الحياة في الأرض ، وتنسى تعاليم الله .. يستدعى الله خلقه سبحانه وتعالى إلى يوم الحساب ليريهم الحق والحقيقة .. وليعلموا

علم اليقين ما هو الزيف وما هو الحق .. حين تصطدم حركة الحياة وتضيع الحقائق ويحكم الزيف .. والله يريد خلافة مستقرة في الأرض . حينئذ من الطبيعي ان نعود إلى الله سبحانه وتعالى . وخالصة الامر ان الناس ينسلخون من دينهم ، ويتبعون اهواءهم ولم يعد الدين حاكما لتصرفات البشر ، ولا لحركة الحياة .. حينئذ تقوم الساعة .

هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ان يستنفد العقل البشرى فكره .. ويستنفد تجربته .. ويستنفد طموحاته في اكتشاف اسرار الحياة كلها .. وحين يغتر الانسان بالعلم الذى وصل إليه ، وبالامكانات التى حققها او التكنولوجيا التى يقولون عنها .. حين يصل غرور العقل البشرى بأنه هو الذى يتصرف فى الحياة وفق ما يريد .. وينسى الناس الله ، وقدرة الله ، ويعتقدون ان الدنيا قد خضعت لهم بعقولهم هم .. حينئذ يستدعيهم الله سبحانه وتعالى إليه .. ليعلموا ان القوة والقدرة لله وحده .. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ

زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتْ وَرَدَّهَا أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا آتَيْنَا أَمْرَنَا

لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

يونس (٢٤)



أسماء يوم القيامة

القرآن سمي يوم القيامة يوم الدين .. وسماه يوم الوعيد ..
 وسماه يوم الفصل .. وسماه الصلحة .. وسماه الوعد الحق ..
 وسماه الواقعة .. وسماه الساعة .. وسماه يوم الأرزق .. واطلق
 عليه مسميات أخرى .. وكل هذه مسميات لمظاهر هذا اليوم ،
 وما سيحدث فيه .. ما هو اليوم الآخر ؟ .. هو انتهاء أمد الدنيا ..
 وابتداء أمد الآخرة . وآخر يوم من أيام الدنيا ولذلك سماه الله اليوم
 الآخر .. وليس معنى ذلك أننا سننتظر إلى آخر أيام الدنيا
 أو انقضاء عمرها لنرى لمحات مما سيحدث في الآخرة .. بل إن كل
 إنسان فينا إذا كتبت آخر أيامه من الدنيا يرى مقدمات الغيب .. بل
 إنه يرى هذه المقدمات وهو يحتضر .. وهذا ما سنعرض إليه في
 الفصول القادمة .. ولكن الذي أريد أن أقوله : إن لكل مرحلة من
 مراحل الحياة قوانينها .. فحياة اليقظة في الكون لها قوانينها ..
 وحياة النوم في الكون لها قوانينها .. وحياة البرزخ ، وهي ما بعد
 الموت إلى يوم القيامة لها قوانينها .. وحياة الخلود في الآخرة لها
 قوانينها .. وكل قانون مختلف تماما في كل مرحلة .. كما سنتحدث
 عن هذا تفصيلا .

ويوم الفصل هو اليوم الذي يفصل فيه بين الناس .. فلا يوجد
 عمل في الآخرة .. ولكن يوجد فصل فيما فعله الناس في دنياهم ..

① **مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ**

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ② وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ③

الترجمة (٧ - ٨)

ولا يحسب الإنسان أنه مهما فعل سيتقبل منه عمل في يوم
 القيامة .. بل إن عمل الإنسان ينقطع من ساعة الاحتضار ..

فليس هناك عمل في حياة البرزخ ، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ

الْمُنْتَحَى (١٣) **الْقُبُورِ**

اي ان الذين ماتوا وهم كفار لا يقبل لهم عمل بعد الموت .
ويوم الفصل معناه انه لايد ان يحشر الناس جميعا ليفصل
بينهم .. ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى يوم الجمع ، ويوم الحشر
في وصف يوم القيامة .. وبعض الناس يعتقد ان هذه مترادفات
لفظية .. ولكن القران هو كلام الله سبحانه وتعالى .. الذى لكل لفظ
فيه وحرف فيه معنى دقيق .. ينبهنا إلى شيء جديد .. فيوم الجمع ان
يجمع الناس جميعا في صعيد واحد .. ولكن يوم الحشر مختلف
تماما .. فكلمة الحشر يريد الله ان يعطينا بها إحساسا بضيق
المكان .. ذلك انه عندما تحشر شيئا فإنك في العادة تحاول ان تدخل
شيئا كبيرا في مكان ضيق .

وإذا أردنا ان نقرب هذه الصورة إلى الأذهان .. فإننا نقول :
تصور اى مكان من يوم ان خلق الله الأرض ومن عليها .. وتصور انه
احصيت الخلق الذين تواردوا على هذا المكان سجد انهم عدد كبير
جدا .. تصور بيتا كلن فيه رجل وامرأة تزوجا وانجبا اولادا ..
والاولاد كبروا وتزوجوا وانجبوا اولادا .. اى البيت الذى كلن فيه
اثنان واسع عليهما جدا .. فإذا بلغوا مائة اصبح المكان يضيق
بهم .. فإذا بلغوا الفا اصبحوا محشورين في هذا المكان .. والله
سبحانه وتعالى سيبعث الناس مرة واحدة ، وليس تباعا كما
خلقهم .. وإذا احصيت عدد من سكنوا بلدا من البلاد من اول

مانشات الحياة ، واحصيت الذين ولدوا على ارض هذا البلد .. ثم ماتوا ودفنوا فيه من اول الخلق إلى يوم القيامة .. ثم بعثوا مرة واحدة .. ما هو الموقف ؟ .. إذن فالحيز سيصبح محشورا بالناس ، لأن الحياة التي نثرت في هذا المكان في ازمان مختلفة عادت لأصحابها مرة واحدة .

كان الناس سيحشرون حشرا مع بعضهم البعض يوم القيامة .. رقعة الأرض التي ضاقت بالأحياء الذين عمروها في ازمان مختلفة سيحشر الناس فيها حشرا يوم القيامة .. كان قول الله سبحانه وتعالى ..

ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ

هود (١٠٣)

يعطينا معنى الجمع .. ولكنه لا يعطينا صورة هذا الجمع . فيأتى يوم الحشر ليوضح الصورة الرهيبة التي سيكون عليها الناس يوم القيامة .

ومن مظاهر هذا اليوم ، كما وصفه الله سبحانه وتعالى ، أنه يوم الدين .. أى أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على منهجه ، وهل اتبعوه أم خالفوه .. أم نسوه .. أى أن هذا يوم لا ينفع الانسان فيه إلا دينه .

وهو يوم التناد .. يوم نخرج جميعا كل واحد منا ينادى الله .. وهو يوم الأرفة .. أى يازف علينا فجأة .. هو يوم القيامة الذى فيه نقوم من قبورنا .. وهو يوم الجزاء ، أى يوم يعلن فيه نتيجة الامتحان الذى مر به الانسان في الحياة الدنيا .. ولا ينفع فيه إلا اجتهاده في طاعة الله في الدنيا .

وهو يوم الصلحة .. التى تصخ الأسماع .. ويوم الطامة التى تطم الجميع .. ويوم القارعة .. التى تقرع الأذان فتنبها من نومها العميق ويقوم الناس لرب العالمين .

وهكذا نرى أن كل اسم من أسماء يوم القيامة .. إنما يمثل ظاهرة من أسماء هذا اليوم .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى ختام الفصل الأول .. وقبل أن نتحدث عن علامات الساعة ، الذي تحقق منها ، والذي لم يتحقق .. لابد لنا من وقفة نتحدث فيها عن لماذا وصف الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم ، مع أن الله لا زمن عنده .. وما معنى هذا الوصف ؟ .. كما نتحدث عن انتقال الإنسان من آخر مراحل الدنيا إلى حياة البرزخ التي يبقى فيها حتى يتم البعث .. أو حتى يأتي يوم الحساب . وسنبدا الحديث في الفصل القادم عن الانتقال بين الموت والحياة .



أحاديث قرآنية

الصوم لي وأنا أجزي به

« الصوم لي وأنا أجزي به .. يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي .. والصوم جنة وللصائم فرحتان .. فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه . ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . »



وجبت محبتي

« وجبت محبتي للمتحابين في .. والمتجالسين في .. والمتزاورين في .. والمتبازلين في .. »



أحادية قَدسية

تفرغ القلب لعبادة الله

عن النبي . . قال : إن الله تعالى يقول : (يا ابن آدم .
تفرغ لعبادتي . املا صدرك غنى . واسد فقرك . وإلا تفعل
ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك)



من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي

قال أبو هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : . قال الله - عز وجل - : ومن أظلم ممن ذهب يخلق
كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة . أو ليخلقوا حبة . أو شعيرة . .



فضل المريض الذى يهجد ربه

. إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه بملكين . فقال انظرا
ملاذا يقول لعواده ؟ فإن هم جاعوه وحمد الله واثنى عليه .
رفعا ذلك إلى الله عز وجل - وهو اعلم - فيقول لعبدى على أن
توفيته أن أدخله الجنة . وإن أنا شفيته أن أبدل عليه لحما
خيرا من لحمه . . ودما خيرا من دمه . وإن كفر عنه
سبغته . .



■ الفصل الثالث ■

نهاية الحياة

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من عناصر
 الأرض .. والتحليل العلمي في الفترة الأخيرة
 اثبت ان جسد الانسان يحتوى على ثمانية عشر
 عنصرا ، هي العناصر الموجودة في الأرض ..
 وهكذا توصل العلم اخيرا إلى ما كشف عنه القرآن
 الكريم منذ اربعة عشر قرنا ، ثم نفخ الله سبحانه
 وتعالى من روحه فدمت الحياة في ذلك الجسد المخلوق من طين .. وتم
 خلق آدم ، ثم خلق الله حواء من لحم لو من ضلع منه ، وذلك
 تعرضنا له بالتفصيل في الجزء الثامن من معجزة القرآن الذي صدر
 في العلم الماضي .

يقول الله سبحانه وتعالى :

وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا

(ص - ٧٢)

ويقول تبارك وتعالى :

﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
 إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(الاحزاب - ٧٢)

وهكذا كان الانسان روحاً ، وكانت مهمته ان حمله الله الامنة في الارض .. فما الروح ؟ .. وما الامنة ؟

الروح هي امر من امور الله .. وكل البحوث التي تجرى عن الروح هي مجرد عبث .. والبحث عن الروح يشغل الانسان منذ بداية الحياة .. ذلك انه سر الحياة الذي عجز البشر عن الوصول إليه عبر السنين .. ورغم ان الروح لا تدخل في طائفة البحث العلمي فإن الانسان مازال يحاول ان يعرف عنها شيئاً .

وقد قام عالم سويسرى في الفترة الأخيرة بتجربة وضع فيها الانسان عندما يحتضر على ميزان .. ووجد انه في لحظة الوفاة يفقد جزءاً يسيراً من وزنه .. فدعى ان هذا الوزن هو وزن الروح .. والبعض الآخر انكر ان لها وزناً .. والكثيرون ينكرون وجود الروح ، ويسموننا الزمن او الطبيعة .. وحيرة البشرية كلها سجلها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرناً في قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ٨١ ﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ

مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(الاسراء - ٨٥)

وهناك الروح ، وهناك النفس .. النفس هي التقاء الروح بللمادة او امتزاج الروح بللمادة .. هذه هي النفس .. والتكليف من الله سبحانه وتعالى ، او الامنة التي حملها الانسان هي للنفس البشرية .. اى فترة الحياة الدنيا التي تلتقي فيها الروح بالجسد .. والله لا يكلف الروح وحدها شيئاً .. قبل ان تدخل إلى الجسد ، او بعد ان تخرج منه .. والله لا يكلف الجسد شيئاً إذا خرجت

منه الروح .. ولكن التكليف حين تلقى الروح بللمدة في الحياة
الأرضية .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها
وتقواها . قد أفلح من زكّاه ، وقد
خاب من دساها ﴾

(الشمس - ٧ - ١٠)

أى ان الله سبحانه وتعالى بين طريق الايمان ، وطريق المعصية
للنفس البشرية .. فبين لها ما يجب ان تفعل وما لا تفعل .. واوضح
لها الخطأ والصواب .. والتكليف الالهي هو في فترة الحياة وحدها ،
مصادقا لقول الله جل جلاله :

﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من
كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ﴾

(يس - ٦٩ - ٧٠)

أى ان القرآن نزل للاحياء ليعملوا به في فترة حياتهم الأرضية .



ما هي الروح ؟

إذا أردنا أن نفهم كلمة الروح .. فإنها ذلك السر الالهي الذي يهب الحياة للمادة .. أو الذي تحيا به المادة .. أو هو إرادة الله لها أن تحيا .. فإذا سلب الله هذه الإرادة إنتهت الحياة بشكلها الدنيوي .. ولذلك يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياة الدنيا كأنها فترة قصيرة من الوقت في رحلة الحياة الكبرى .. يقضيها المسافر تحت ظل شجرة ، ثم يرحل .. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم رحل وتركها) .

وحينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن السائلون يريدون أن يعرفوا ما هي الروح .. ومم تتكون ؟ وكيف تهب الحياة للجسد ؟ ثم تذهبها عنه .. وهنا قال الله سبحانه :

﴿ ٨١ ﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ

مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٥)

أي أن الروح سر من أسرار الله سيظل غيبا عنا إلى يوم القيامة .. والله سبحانه وتعالى ينبهنا إلى أن علمنا الأرضي الذي نظن أنه كثير لن يصل إلى سر الروح .

بل إن تحدى الله سبحانه وتعالى قد جعل هذه الروح - وهي تعيش في جسد بشري - يعجز صاحب هذا الجسد عن أن يعلم عنها شيئا .. كيف جاءت ؟ وكيف خرجت ؟ .. وفي أي مكان هي في الجسم ؟ .. هل هي في القدم التي تمشي ، أم في القلب الذي

ينبض .. ام في الرئتين اللتين تتنفس بهما .. ام في العقل الذي يعطى
 الاشارات كلها للجسم .. كل هذا عجز عن ان يحدده علماء الأرض
 الذين يجادلون في الله بغير علم .. وياخذون الرؤية المادية على اساس
 انها يقين العلم كله .. اولئك الذين يحولون ستر وجود الله ..
 ويعلنون الكفر والالحاد .. الروح في اجسادهم ، وهي معهم في
 رحلتهم من المهد إلى اللحد .. او من الميلاد إلى القبر .. ولكن اين هي
 الروح التي في اجسادهم واين مكانها .. الجواب طبعاً ان احداً
 لا يستطيع ان يحدد مكانها .. فنقول لهم : ما هو شكلها ؟ .. فيقولون
 صلواتي بلا جواب .. فنقول لهم : هل هي موجودة ؟ فيقولون :
 نعم . لانها تعطينا الحياة .. فنقول لهم : إذا كانت الروح ، وهي
 موجودة وجوداً يقينياً في اجسادكم ، وفي كل شيء حي . إذا كان هذا
 المخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا تستطيعون الاحاطة
 به .. ولكنكم ترون في اثره انه يمنح الحياة للجسد .. فكيف تريدون
 رؤية الله ، وتجاهرون بان عدم رؤية الله إنكار لوجود الله سبحانه
 وتعالى .. الا تكفي هذه التجربة التي هي في اجسادكم ، والتي تعيش
 معكم ، لتبين لكم انكم تفكرون على الله ؟ وكان من الاجدر بكم ، وهذه
 الآية موجودة في اجسادكم .. ان تسجدوا لقررة الله سبحانه وتعالى
 الذي وضع فيكم هذا الاعجاز ، وتؤمنوا بوجود الله وبعظيم علمه
 وقهرته ؟



لماذا أخفى الله

سر الروح ؟

لكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ؟ ..
أولا : لأنه دليل قدرة .. دليل قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يضع في
الجسد البشرى ما يهبه الحياة دون أن يستطيع أحد من الناس
معرفة .. وعندما نرى هذه القدرة نحس بعظمة الله سبحانه وتعالى
الذى وضع هذا السر فينا دون أن نستطيع اكتشافه .

وثانيا : انه دليل وجود بلا رؤية .. فنحن نعرف يقينا أن الروح
موجودة في الجسد ، لأنها تعطيه الحياة .. فمادامت الحياة موجودة
فالروح موجودة .. فإذا خرجت الروح من الجسد توقفت الحياة .
وهذه بديهية وليست محتاجة إلى دليل .. وإنما هي توضح لنا بشكل
يقيني دائم معنى الغيب .. وترد على الذين يقولون إن الغيب غير
موجود ، لأنه محجوب عنا .. نقول لهؤلاء : إن الروح محجوبة
عنا . فنحن لا نراها ، ولا نعرف شيئا عنها .. ولكنها موجودة ،
بدليل أنها تعطيتنا الحياة .. إذن لا نقول ما هو غيب عنا ليس
موجودا .

وهناك دلائل أخرى على أن الغيب موجود .. منها الاكتشافات
العلمية التي تتم .. فإننا نرى ميكروبا من الميكروبات ، أو كوكبا من
الكواكب ، ويدخل في علمنا البشرى .. فليس معنى ذلك أنه لم يكن
موجودا قبل أن نكتشفه .. بل معناه أنه كان موجودا ثم أتاح لنا الله
سبحانه وتعالى قدرات مكتننا من رؤيته .. ولكنه كان يباشر مهمته في
الحياة قبل أن نراه ، أو نعلم بوجوده .

وهكذا كل الاكتشافات العلمية الجديدة هي قوانين الله في الأرض
كانت تباشر مهمتها قبل أن نكتشفها .. واكتشافنا لها ليس معناه أننا
لوجدنا هذه القدرات أو القوانين .. بل معناه أن الله أراد أن يعلمنا
بها .. فالغلاف الجوي لم نضع فيه نحن خاصية حمل الطائرات ،
ولا نقل الأصوات والصور للاذاعة والتليفزيون .. ولكن هذه
الخصائص كانت موجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها .. ولكنها
كانت غيبا عنا ، ثم كشفها الله لنا .

ولكن إذا كانت هناك أشياء كثيرة في الكون نستطيع أن نستدل بها
على أن ما هو غيب عنا موجود .. فلماذا غيب الله علم الروح عنا ؟
لأن هذه الاكتشافات العلمية محتاجة إلى أن يدرس الناس ويتعلموا
حتى يصلوا إلى فهم لها .. ولكن ذلك الذي لا يقرأ ولا يكتب
لا يستطيع أن يستوعب مثل هذا العلم .. والله سبحانه وتعالى
لا يفرق بين عباده ، بل يساوي بينهم جميعا .. وبما أن وجود
الروح في الجسد دليل لا يحتاج إلى تعلم .. بل هو شيء محس يرى
للناس ، كل الناس ويعرفه الجميع .. لذلك بقيت الروح لتكون دليلا
للناس كلهم على أن ما هو فوق قدرة العقل .. أو مالا يحيط به العقل
موجود .. حتى إذا دخل الشك أي نفس يكفي أن تضرب مثل
الروح .. ليعلم الناس جميعا وبدون حاجة إلى تعلم وقراءة .. أن
مالا يحيط به العقل موجود في الكون .. بذلك يساوي الله بين خلقه في
الدليل الإيماني .. على أن ما هو غيب عنا ، وما هو فوق قدرة
عقولنا ، موجود .

والسبب الثالث أن حقيقة الروح ، سواء علمت بها أو لم تعلم ،
لا يفيدك ذلك شيئا في حياتك الدنيا .. فالانتفاع بالروح لا يقضى
ولا يقتضى العلم بها .. فهي تعطيك الحياة والقدرة ، سواء علمت
بها أو لم تعلم .. وفي ذلك يتساوى الإنسان الذي لم يقرأ سطرًا

في حياته ، والانسان الذى بلغ مبلغا كبيرا من العلم .. فكلاهما ينتفع بالروح انتفاعا كاملا طوال رحلة حياته .. سواء علم سرها او جهل ذلك السر .

إن فانت تنتفع بالروح التى تعطيك الحياة والحركة ، ولست محتاجا إلى أن تعرف سرها .. فهو بالنسبة لك جهل لا يضر .

على اننا يجب ان نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى :

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

(سورة الاسراء - الآية ٨٥)

ماذا تعنى كلمة امر ربي .. القرآن الكريم يبين لنا ذلك فيقول :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٦)

(سورة يس - الآية ٨٢)

إن امر الله هو إرادة الله سبحانه وتعالى للشئ ان ينتقل إلى حياة البشر بكلمة " كن " .. وان يخرج الشئ من علم القادر . وهو الله سبحانه وتعالى . إلى علم غير القادر ليبشر مهمته في الحياة .



ما هي مهمة الإنسان ؟

نأتى بعد ذلك إلى مهمة الإنسان في الكون .. نجد ان الله سبحانه وتعالى قد كرم آدم تكريماً عظيماً .. وجعل الملائكة يسجدون له ، ثم حمله الأمانة .

ما الأمانة ؟ الأمانة هي شيء لا يقوم عليه دليل مادي مكتوب .. فإذا أتيت إلى شخص ، وأعطيته مبلغاً من المال .. وأخذت منه إيصالاً أو شيكاً بالمبلغ لا يكون هذا أمانة ، ولكنه يكون ديناً .. فإذا أعطيته هذا المبلغ وأشهدت عليه الناس ، فلا يكون هذا أمانة ، وإنما يكون ديناً .. ولكن إذا أعطيته مالا أو شيئاً آخر .. وتم ذلك بدون ورقة مكتوبة .. وبدون أن أشهد عليه الناس تكون قد أعطيته أمانة يستطيع أن ينكرها ، و أن يردها في أي وقت شاء دون أن يكون لدى دليل مادي إذا أنكره .

والسلوك بالنسبة للأمانة ينقسم إلى ثلاثة ربود فعل :

رد الفعل الأول : أن يقبل الإنسان الأمانة ، ويقول أعطها لي ، وهي في الحفظ والصون إلى أن تأتي لتطلبها .

ورد الفعل الثاني : هو أن يخاف الإنسان من نفسه ويقول : أعفني من هذه المهمة .. فانا لا أستطيع أن أضمن نفسي ويدي ستمتد إليها لتبدها .. وحينئذ يكون قد رفض حمل الأمانة .

ورد الفعل الثالث : أن يبدي الإنسان استعداداً وتقبلاً لتحمل الأمانة .. فإذا أصيب بضيق مادي ، أو احتاج لشيء ، امتدت يده إليها ليأخذ منها .. على أساس أنه سيعيد ما أخذ .. ثم يفاجأ عند مجيء موعد الرد بأنه لا يستطيع أن يرد الأمانة فينكرها .

هذا هو المعنى العام للأمانة التي حملها الإنسان .. وهي منهج الله في الأرض وحرية الاختيار في أفعال ولا تفعل .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
 إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(سورة الاحزاب - الآية ٧٢)

وقد اوضح الله سبحانه وتعالى الامانة بمعناها الواسع في القرن
الكريم .. فقال :

﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ
 بِالَّذِينَ إِلَىٰ آجُلٍ مِّنْكُمْ فَأَقْبُوا بَعْضُكُمْ أُمَّةً مِّنْ بَعْضٍ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ

(سورة البقرة - الآية ٢٨٢)

ومعنى ذلك ان الدين هو الذى يقوم عليه صك مكتوب ، او ورقة
مكتوبة .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿٢٨٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ
 مِمَّا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ ذَلِكُمْ وَلَٰكِنْ لِيُنذِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(سورة البقرة - الآية ٢٨٣)

عرض الله على السموات والارض والجبال وغيرها ان تحمل منهج
الله .. وان ياتمنها الله على هذا المنهج ، ويعطيها الحرية في ان تفعل
ولا تفعل .. وان تاتى إليه عن اختيار ، وعن حب ، وليس عن

قهر .. فإن اتبعت المنهج وفعلت كل لها ثواب عظيم .. وإن خالفت
 المنهج ولم تفعل بقيت خالدة في النار .. ولكن كل هذه المخلوقات
 رفضت أن تحمل الأمانة .. وقالت : يارب إننا نخاف ، ونشفق على
 أنفسنا ، ونحشى إلا نستطيع أن نؤدى أمانة المنهج الذى تريدنا أن
 نحمله .. ولذلك يارب اجعلنا مقهورين على طاعتك ، غير مختارين أن
 نعصى .. ولكن الانس واللجان قبلوا أن يحملوا هذه الأمانة ..
 وقالوا : يارب نحن قاصرون ، وسنكون أمناء على المنهج ونطيع
 ولا نعصى .. وعندما بدأت المهمة لم يقتر كثير من الناس على حمل
 انفسهم على الطاعة ، وخابوا الأمانة .

ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الانسان حين حمل الأمانة
 بوصفين : بأنه ظلوم ، أى كثير الظلم .. وجهول ، أى انه عظيم
 الجهل .. لأن الانسان ظلم نفسه ، فحملها مالا يقدر الضعف البشرى
 فى كثير من الأحيان أن يتحملة .. ولأن بنى الانسان يريد أن يتميز كل
 واحد منهم على غيره .. وأن يغتر بنفسه .. بينما يجب أن تتحد
 اهدافهم فى طاعة الله .. لذلك كان الانسان كثير الظلم .. وهو ليس
 ظلما ، ولكنه ظلوم لأنه يظلم نفسه فيمنعها من نعيم مقيم من أجل
 متعة مؤقتة تعطىها له معصية .. وظلمها ثانية بان منعها من
 الجنة .. ولأنه ، وهو يعلم يقينا انه تارك كل شيء فى الدنيا ، يريد أن
 يملك ويملك .. ويرتكب فى سبيل ذلك معاصى كثيرة .. ولو تنبه فإنه
 يدرك انه لا يخرج من الدنيا بشيء إلا نوبه .



وكان الإنسان جهولا

لمذا كان الانسان جهولا ، اى عظيم الجهل .. لانه استهان بعذاب الله .. ذلك العذاب الذى هو محجوب عنا .. ولو رايناه ما نطق لسان بمعصية .. ولا امتدت يد إلى مال حرام . ولكن لأن هذا العذاب اخفى عنه .. ظن الانسان انه لا علم إلا علمه .. ونسى علم الله الواسع الذى لا تحده حدود .. وقدرة الله التى لا تفوقها قدرة .. وهو جهول لانه بقدر ما اعطاه الله من علم ومن نكاه .. عبد اشياء لا تنفع ولا تضر .. فعبد الحجر ، وعبد الشمس ، وعبد النار ، وعبد الحيوانات ، وعبد الدنيا .. ولو انه كان يعقل ولا يجهل .. لعلم ان هذه المخلوقات كلها ادنى منه .. وان الله سخرها كلها لخدمته .. فكيف يعبد الأعلى الأدنى .

ولانه جهول عبد الدنيا ، وهو مفارقها .. والخالق لا يفارق مخلوقه .

مع ان الله سبحانه وتعالى حين حملة الأمانة اعطاه العقل الذى يميز به .. وجعل هذا العقل اساس الحساب بحيث يتوقف الحساب حين يتوقف العقل عن أداء العمل .. فالجنون يسقط عنه التكليف ، ولا يحاسب .. والطفل الذى لم يبلغ الحلم والنضج العقلى الذى يجعله يستطيع ان يفرق او يميز لا يجرى عليه القلم .. فلقد حرم الله كل ما يعطل العقل ويفسده .. حرم الخمر تحريما قاطعا ، لأنها تفسد العقل وتعطله عن أداء مهمته فى الحياة .. وما ينطبق على الخمر ينطبق على المخدرات . لان مقومات الشريعة الاسلامية جاءت للحفاظ على هذا الكنز الالهى الذى ميز الله به الانسان ، وهو العقل .. واختيارات العقل هى التى تشقى الانسان وتسعده

في الحياة .. وتقوده إلى الجنة أو النار .. فالغريزة لها انفعال واحد . اما الفعل فامامه بدائل كثيرة.. فالانسان مثلا إذا اذى كلبا فإنه يعضه بلا انفعال آخر .. وكلما اوى الكلب كُن رده على الأذى ان يعض من اذاه .. والحصان مثلا يرفس من يؤذيه .. انفعاله له شيء واحد لا يتغير .. ولكن الانسان إذا ضربه إنسان آخر فإن امامه عدة بدائل .. إنه يستطيع ان يرد الضربة بمثلها او بأشد منها او بأقل منها .. او ان يصفح عن ضربه ، او يكتفى بتوبيخه .. هناك بدائل لا حدود لها موجودة عند الانسان وحده .. هذه البدائل يضعها العقل ، وليست الغريزة .

والانسان في كل لحظة من لحظات حياته مطالب بالاختيار .. إذا قمت بهذا العمل فهل اوفق فيه ؟ .. وانا في ضيق مالي اترك وظيفتي وابدا عملا حرا ؟ .. وإذا افلست فماذا يحدث ؟ هل ابيع السلعة ام ابقياها ؟ ربما يرتفع سعرها فاكسب اكثر .. وربما انخفض سعرها فتكون الخسارة كبيرة .. وهكذا يظل الانسان يعانى في كل احداث الحياة .. وهنا يصطدم المنهج مع ما تريده النفس مع الخوف من الدنيا .. هل ارضى صاحب النفوذ ، واغضب الله ، لأربح مالا ؟ .. هل اشهد الزور واكذب لأحصل على ترقية ؟ وهنا يكون الصراع بين هوى النفس وبين منهج الله .. والانسان المؤمن تتحد مراداته في الحياة الدنيا مع مرادات منهج الله سبحانه وتعالى منه .. فهو يتبع ماأمره الله به .. فيكون قد أدى الأمانة التي حملها .. وحصل على السعادة في الدنيا والآخرة .. يخلص نفسه من هذه الصراعات كلها .. ويعلم ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يحميه ، وعلى ان يحقق له مايريد ، فيتبع الحق ، ويقول الصدق ، ولا يخشى إلا الله . اما الانسان الذى يخون الأمانة ، ويعصى الله ، وجرى وراء كسب دنيوى بدون ما إيمان حقيقى في نفسه .. فيكون قد خسر الدنيا

والآخرة .. فلا يمكنه الله مما يتمناه في الدنيا ، ويكون من أهل النار في الآخرة . ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى سلوك هذا الإنسان بقوله :

خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ ۝۱۱

(سورة الحج - الآية ١١)

وبعد ان تحدثنا عن الخلق والحياة ، ومهمة الإنسان في الحياة ، لابد ان نكمل الحديث بمغادرة الإنسان للحياة .. فكما ان هناك حياة .. وان هناك مهمة في الحياة حملها الإنسان ، وانتمنه الله عليها ليؤديها .. فلا بد ان تكون هناك مغادرة لهذه الحياة .. ثم حساب على ما فعلناه .

ولكن قبل ان ننتقل إلى الحديث عن الإنسان ، وهو يغادر الدنيا ، لابد ان نتوقف لحظة لنقول : إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لياتيه عن حب واختيار .. ولم يخلقه لياتيه بالقهر والجبر .. ذلك ان القهر يسقط الحساب حتى في قمة العقيدة ، مصداقا لقول الله تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدَّسَ ۝

الرُّشْدِ مِنَ النَّبِيِّ ۝ مَنْ يُكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

(سورة البقرة - الآية ٢٥٦)



وقوله تبارك وتعالى :

﴿١٠٦﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَا كُنَّ مِنْ شَرِّ الْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ فِي عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾

(سورة النحل - الآية ١٠٦)

وقوله تعالى :

وَلَا
يَكْفُرُ هُوَ افْتِنَاكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَحْنُ الْغَائِبُونَ نَحْنُ الْغَائِبُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ هُمْ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ الْكُرْهُ هُمْ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ الْكُرْهُ
﴿٣٣﴾

(سورة النور - الآية ٣٣)

ولذلك فإنه لكي يكون الحساب عدلا .. فإنه لابد ان يتم الفعل
بإرادة الانسان ورغبته وبلا إكراه .. وعندما تأتي ساعة مغفرة
الدنيا تكون كل افعال الانسان التي يأخذها معه برغبته وبإرادته
الحرّة .

والخلق والموت والبعث كل هذا موجود في علم الله وواقع ..
ولذلك فإنني اقول دائما إننا يجب ان ننتبه إلى قوله تعالى :

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤١﴾

ولا بد ان نتنبه هنا إلى قول الله ، ان نقول له ، .. اى ان الشيء
 كلن وموجود في علم الله سبحانه وتعالى .. فإذا قال له : اى قال لهذا
 الشيء الذى له وجود فعلى في علم الله ، كن ، .. ظهر لنا فعلمناه ..
 او رايناه .. او اكتشفناه .. إذن فكل ما في الكون من موت وحياة
 وبعث واحداث تقع .. كلها موجودة فعلا في علم الله سبحانه وتعالى
 ولكننا لا نعلم عنها شيئا .. إلا عندما تاتى مشيئة الله بكلمة
 ، كن ، .. هذه هى الحقيقة التى لا بد ان نتنبه لها اولا ، حتى نعرف
 ان علم الله شامل لكل شيء ولا حدود له .
 نلاحظ ، ونحن نتكلم عن الموت والحياة ، ان الله سبحانه وتعالى
 جعل الموت سابقا للحياة في قوله تعالى :

⑤ الَّذِي خَلَقَ

الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْأُوْكِرَ اَيْكُمْ اَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْغَزِيْرُ الْفُؤُوْرُ ①

(سورة الملك - الآية ٢)

فلماذا سبق الموت الحياة في هذه الآية ؟ .. الله سبحانه وتعالى
 يريد ان يلفتنا في هذه الآية لكيلا ياخذنا غرور الدنيا وما تعطيه ..
 فإذا اغتر الانسان بما يعطيه الله له من مال .. او ملك ، او ما اعطاه
 الله له في الدنيا من نعم .. فتاتى هذه الآية فتوضح انه كان ميتا
 فاحياه الله ، فلا يغتر بهذه الحياة .. ولا يملأ الارض بالمعاصى ..
 لانه وإن كان له كيان اليوم .. فلم يكن له كيان فيما مضى او حياة ،
 ومصيره مرة اخرى إلى ترك هذه الحياة ، مهما طال به الاجل ، وترك
 كل ما فيها من نعم .

فالغرور الانسانى هو بداية المعصية .. ودائما عندما يغتر
 الانسان بنفسه ويملؤه الفخر بذاته وقدراته .. فإنه يبدأ الابتعاد

عن الله تعالى ، والابتعاد عن المنهج .. فمادام قادرا على ان يحقق لذاته ما يريد .. فقد أصبح بتصوره انه ليس محتاجا إلى الله .. ومن هنا تبدأ المعصية .. فالانسان الذي يحس انه في حاجة دائمة إلى الله تعالى .. يبقى دائما متعلقا بالله متبعا لمنهجه .. فإذا أحس انه في منعة وعزة بدأ يبتعد ، وذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّيْنَاهُ سَبِيحًا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٣)

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتِّاعًا ۖ إِذْ رَأَاهُ اسْتَكْبَرَ ۖ قَالَ إِنِّي أَنْزَلْتُ الْمَاءَ مِنْ سَّمَاءٍ لِيُحْيِي النَّسْلَ ۚ عَلِيمٌ ۚ ﴾

(سورة العلق - الآية ٦ - ٧)

وقوله جل جلاله :

﴿ وَإِذْ أَمْسَرَ الْإِنْسَانَ الضُّرَّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعًا أَوْ قَائِمًا ۚ ﴾

﴿ فَلَا كَفَّاعَةَ لَهَا فَضَرَّتْهُ وَضَرَّتْهُ مُرْكَاةً لَبَدًّا أَلِيًّا ۚ وَكَذَلِكَ زُجِرْنَا لِّلرُّفَيْنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة يونس - الآية ١٢)

إذن مادام الانسان في ضر فإنه لا يتجه إلا إلى الله .. حتى ذلك الذي ينسى الله ، ويبتعد عن المنهج ، بمجرد ان تصيبه محنة

او ضرر او ازمة ، يرفع يديه إلى السماء ويقول : يارب .. وفي هذه الحالة يكون الانسان صادقاً مع نفسه .. لأنه يعلم يقيناً ان الامر كله بيد الله ، ويعرف ان كل ما اتجه إليه من نعم الدنيا وأسبابها لم يستطع ان يعطيه الحماية التي كان يريدتها .. اما إذا اغتر الانسان واحاطت به النعم فإنه ينسى الله .. ويأخذ بالأسباب .. ويفعل كما فعل قارون ، ويقول : إنما اوتيته على علم عندي .



لماذا أخفى الله موعد الموت ؟

لقد وضع الله سبحانه وتعالى من خصائص الموت ما يجعل الإنسان يفيق من غرور وجاه الدنيا ، ويذكره بقدرة الله سبحانه وتعالى ، فأخفى الله موعد الموت .. لماذا ؟ .. حتى يتوقعه الإنسان في أية لحظة .. فكلما اغتر تذكر أنه قد يفارق الدنيا بعد ساعة أو ساعات ، فرجع عن غروره ، ورجع إلى الله سبحانه وتعالى . ولو كان الله قد أعلم كلاً منا بأجله وعصينا الله .. وطغينا في الحياة .. وظلمنا الناس .. ثم نتوب ونستغفر قبل موعد الأجل بأشهر .. في هذه الحالة تنتفي الحكمة من الحياة .

وأخفاء الله سبحانه وتعالى موعد الموت هو إعلام به .. ذلك أن إخفاء الموعد يعني أن الإنسان يتوقع الموت في أي لحظة .. ولذلك فإنه إذا كان عاقلاً تكون عينه على الدنيا ، وعينه الأخرى على الآخرة .. فإذا ارتكب معصية فهو لا يعرف هل سيمد الله أجله إلى أن يرتكب المعصية ويتوب .. أم أن أجله قد يأتي وقت ارتكابه المعصية ، فلا يجد الوقت للتوبة .

وما يقال عن المعصية يقال عن العمل الصالح .. فلو أن موعد الموت معلوم .. لأجل الإنسان العمل الصالح إلى آخر حياته .. ولكن الله يريد أن يكون الصلاح ممتداً طوال الزمن ، ولذلك أخفى موعد الموت .. ليعجل الناس بالأعمال الصالحة قبل أن يأتي الأجل .. فكان إخفاء الموعد فيه رحمة من الله للبشر .. رحمة بأن يخافوا المعصية إن تاتي مع الأجل .. ورحمة بأن يسارعوا في الخيرات حتى لا يفاجئهم الأجل .

ناتى بعد ذلك إلى ساعة الاحتضار .. وهى الساعة التى تغلر
 فيها الروح الجسد .. أو سكرة الموت ، كما يسميها الله سبحانه
 وتعالى .. فى هذه اللحظة تكون قد انتهت حياة الاستعلاء ، وحياة
 الكبر ، وكل مظاهر الحياة الدنيا .. وكل ما تستطيع الحياة أن
 تعطيه للانسان .. تقف الدنيا كلها بكل من فيها وما فيها من علم
 وقوة ونفوذ وسلطان عاجزة امام قدرة الله سبحانه وتعالى .. ففى
 هذه اللحظة يأخذ الانسان مقدمات الغيب .. أى أن الانسان ، وهو
 يحتضر ، يرى اشيء ما كان يقدر أن يراها فى اثناء الحياة الدنيا ..
 لماذا ؟ .. لأن بشريته الآن قد خدمت .. ومدامت البشرية قد
 خدمت ، تهب نفحات الغيب .. وهذا هو معنى الآية الكريمة :

﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾

(سورة فى - الآية ١٩)

أى ما كنت تريد الا تتذكره او تعترف به .
 فى هذه الحالة لا تنفع فيها التوبة ، ولا يجدى فيها الاستغفار ..
 فمدامت سكرة الموت قد جاءت ، فقد انقطع عمل الانسان الدنيوى .
 والله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا اشيء تحدث للانسان وهو
 يحتضر . فقال تعالى :

﴿١٧﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ
 حِينِيضُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَوْقَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُرُونَ ﴿٢٠﴾

(سورة الواقعة - الآية ١٧ - ١٩ - ٢٠)

اي ان الانسان وهو يحتضر ، يكون اقرب إلى ملكوت الله من اولئك
الذين يقفون حوله .. وهم إذا كانوا يقفون حوله فإنهم لا يبعدون
عنه إلا مسافات قصيرة .. فإنه يرى اشياء لا يرونها .. ويرى
مقدمات للغيب لا يبصرها من حوله ، ويرى الملائكة .. واقرا قول الله
سبحانه وتعالى :

وَلَوْ تَرَىٰ إِذُ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ
المُوتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوْا اَيْدِيَهُمْ اَخْرَجُوا اَنْفُسَكُمْ اَلْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابِ
الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلٰى اللّٰهِ غَيْرِ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْتُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وَّرَآءَ
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرٰى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ اَنْتُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءَ
لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

(سورة الانعام - الآية ٩٣ - ٩٤)



ماذا يرى الانسان ساعة الاحتضار ؟

هكذا نرى أن الانسان ساعة الاحتضار يرى الملائكة ويكلمونه فإن كان من الذين عصوا الله ، والعياذ بالله ، بشره الملائكة بالعذاب .. وبشروه بجهنم ، وهو في هذه اللحظة لا يراهم فقط ، بل يسمع كلامهم .

على أننا نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾

(سورة الانعام - الآية ٩٣)

والنفس - كما قلنا - هي التقاء الروح بالجسد .. فكيف يطلب الملائكة من الظالم المحتضر أن يخرج نفسه .. لكى نفهم هذه الآية لابد أن نضع في اذهاننا أن هذا المحتضر كان كافرا بالله ، ومكذبا بالبعث .. وحينئذ وهو يحتضر يقول له الملائكة : هانذا الآن ترى ما كنت تكذب به .. وترى العذاب الذى ينتظرك ، فإن كان لك قوة او قدرة كما كنت تدعى فى الحياة الدنيا ، فأخرج نفسك من هذا .. اهرب إذا كنت تستطيع .. خلص نفسك إذا كانت لك قوة او نفوذ .. إنك لا تستطيع فى هذه اللحظة أن تخرج نفسك مما أنت فيه .. فلم تعد لك قدرة على أن تسيطر على ذلك .. لقد كانت هذه القدرة من الله سبحانه وتعالى .. وهبها لك فى الحياة الدنيا .. ولكنك الآن لا تملك لنفسك شيئا ، ولا ينتظرك إلا العذاب .. لما كنت تقول على الله غير الحق ، وتستكبر فى الأرض .

وفى هذه اللحظة أيضا تذكر الملائكة هذا الانسان الكافر المنكر لآيات الله بأنه قد جاء إلى الموت وحده ، وليس معه عصيته ،

ولا عزوته في الدنيا .. وحيدا كما تم خلقه .. حتى الآلهة التي اشرك
 بها قد تخلت عنه .. وحتى الذين كان يعصى الله من اجلهم لم ياتوا
 معه ، ولا يستطيعون ان يدافعوا عنه .. ثم تكتمل الصورة بقول الله
 سبحانه وتعالى :

وَلَوْ تَرَىٰ ذِينَ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
 لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ

(سورة الانفال - الآية ٥٠ - ٥١)

اي انه ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وإيذاء من الملائكة
 للكافرين . . .

والمعروف ان اى نوع من العذاب لا يتم إلا مع وجود الحياة .
 فانت لا تستطيع ان تعذب جسدا ميتا .. ولكن لكى يحس الجسد
 بالعذاب لابد ان تكون فيه حياة او روح .. اى ان ما يحدث من
 الملائكة معه ضرب وإيذاء إنما يحدث ساعة الاحتضار وفي الجسد
 حياة .

وانظر بعد ذلك إلى الصورة المقابلة في الصالحين الذين تتوفاهم
 الملائكة .. يقول الله تعالى :

الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا
 الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

(سورة النحل - الآية ٣٢)

أى إن الإنسان الصالح حين يصل إلى ساعة الاحتضار يرى
 الملائكة أيضا .. فكل إنسان ، وهو يحتضر ، يرى ملائكة الموت .
 ولكن اللقاء يكون مختلفا .. فبينما الكافر يضرب الملائكة وجهه
 ودبره .. ويقولون له « نوقوا عذاب الحريق » .. فإن الإنسان
 المؤمن تدخل عليه الملائكة بالبشرى ، ويقولون له سلام عليكم .. أى
 أنت وصلت إلى دار السلام بأمان .. ويبشرونه بالجنة .
 هنا في ساعة الاحتضار يفترق المؤمن والكافر ، وذلك بخلاف
 الحياة الدنيا كلها ، ففي الحياة الدنيا قد يكون الكافر له من الحياة
 والسلطان ماليس للمؤمن .. وقد يكون له من العلو والترف ماليس
 للمؤمن .. ولكن تبدا التفرقة بينهما ساعة الاحتضار . فيرى الكافر
 الملائكة ، وقد جاعوا بمقدمات الجزاء ، وانهلوا ضربا عليه ..
 ويرى المؤمن الملائكة ، وقد جاعوا بمقدمات النعيم وبشرى بالجنة .
 ويرى الكافر النار .. ويرى المؤمن الجنة .
 حينئذ لا تنفع التوبة ، وذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿۱۷﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
 ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
 ﴿۱۸﴾ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
 قَالَ إِنِّي بُدِّئْتُ بِالسُّوءِ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا

(سورة النساء - الآية ١٧ - ١٨)

اي ان لحظة الاحتضار - كما قلنا - لا تقبل فيها التوبة ..

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ٢١ ﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ

لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِجَحِيمٍ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا

(سورة الفرقان - الآية ٢٢)

اي ان الله سبحانه وتعالى يريد ان يخبرنا بان الانسان يرى الملائكة ومقدمات الغيب في ساعة الاحتضار .. وفي هذه الساعة لا تنفع التوبة .. والانسان ، وهو يحتضر ، يعلم موقعه ، هل هو من اهل النار ، ام من اهل الجنة .. تلك هي لحظات نهاية الحياة . حينئذ ينتقل الانسان من حياة إلى حياة ، او من قانون إلى قانون .. وهذا هو موضوع الفصل القادم .

أهديت قديسة

قل الله

« إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم اظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي . »



فضل ذكر الله

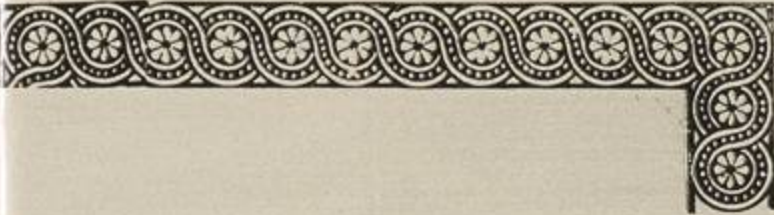
والخوف منه تعالى

عن انس رضى الله عنه . . عن النبي . . قال : يقول الله (اخرجوا من النار من ذكرني يوما واخافني في مقام)



■ الفصل الثالث ■

قانون .. ما بعد الحياة



عندما ينتقل الانسان من الدنيا ، وينتهي فيها
عمره ، يكون قد بدا اول ايامه من رحلة الآخرة ..
ذلك ان كل من يخرج من الدنيا تنتهي صلته
باحداثها تماما .. ولا يصبح امر الدنيا هو
شغله .. وينقطع عمله إلا من علم ينتفع به ،
او صدقة جارية ، او ولد صالح يدعو له . كما
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع
عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به ، او صدقة جارية ، او ولد صالح
يدعو له ، .. هذه الأشياء الثلاثة التي ذكرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم .. هي امتداد لعمل الانسان في الدنيا .. والعلم الذى
ينتفع به هو امتداد لعلم اجتهد فيه الانسان في حياته الدنيوية ، ثم
علمه للناس وتركه لينتفع الناس به .. فهذا النفع هو اتصال لعمل
الانسان ، ويكون له جزاء عليه .

ولكن هناك شرطا لهذا العلم ، هو ان يكون لوجه الله سبحانه
وتعالى .. او يقصد به الله .. فكل عمل يقوم به الانسان ، ولا يقصد
به وجه الله ، ليس له اجر عند الله .. وهذا كما قلت مبدا لابد ان
نفهمه . لانك تأخذ اجرک في الدنيا وفي الآخرة ممن عملت من اجله ..
فلا يعقل ان تعمل عملا لانسان ، ثم تذهب لتطالب شخصا آخر
باجرک .. هذا لا يتفق مع منطق الوجود .. وكذلك تعمل عملا لغير
الله .. ثم تطلب من الله اجرک في الآخرة .. وكثير من الناس

الذين قدموا خدمات للانسانية .. ولم يكن في بالهم الله ، وهم يقومون بهذا العمل ، اعطاهم الله اجرهم في الدنيا .. فاطلقت اسمائهم على الميادين والمدن ، واقبمت لهم التماثيل ، واحتفل الناس بذكراهم .. وكان من عدل الله ان يوفيهم اجرهم في الدنيا التي عملوا لها .. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ١١ ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَمُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

(سورة هود - الآية ١٤ - ١٥)

وليس معنى ذلك ان يكون العلم من علوم الدين وحدها .. اى ان اى انسان مؤمن يصل إلى علم وفي باله الله ، وانه يعمل ليرضى الله واستفادات الدنيا كلها بعلمه ، فإن الله يؤتية اجره ، لانه لم يعمل من اجل مال او جاه او شهرة .. رغم ان هذه قد تاتي ، ولكنه يعمل من اجل الله .. اما ذلك الذى لا يحمل فى قلبه اى نوع من الايمان ، ويعمل من اجل الدنيا وحدها ، وهو غير مؤمن بالآخرة ، فإن الله يؤتية اجره فى الدنيا .

اما الصدقة الجارية فهى مال الانسان الناتج من عمله وورثته .. وبدلا من ان ينفقه فى ان يبني له قصرا ، او فى الترف ، او فى الافساد فى الارض .. ينفقه فى عمل يبتغى به وجه الله وحده .. كان يبني مسجدا ، او يقوم ببناء دار يسكن فيها الفقراء مجانا ، او ملجا للايتام ، او يرصد ايراد ما يملكه لينفق فى سبيل الله .. وما ديم هذا العمل قائما فى الدنيا فإنه يصل إليه اجره فى الآخرة .

وولد صالح يدعو له ، هو جزاء من الله على حسن تربية الأبناء
 على منهج الله ، بحيث ينشأون صالحين .. ومن علم ابنه القرآن ،
 وحرص على أن يؤدي هذا الابن الصلاة ، وحثه على الصدقة ، وكل
 عمل طيب .. فإن هذا الابن الذي هو امتداد للأب يكون دعاؤه مقبولا
 رحمة لأبيه ، وزيادة في حسناته ، وذلك حتى نحرص على أن يشب
 اولادنا على الفطرة السليمة والدين القويم .



كل حياة لها قوانين

هنا قد يتساءل بعض الناس : ما نوع الحياة التي ينتقل إليها الانسان في قبره وقبل البعث ؟ نقول لهؤلاء جميعا : إن كل حياة خلقها الله لها قوانينها .. فإذا انتقلنا إليها نعرف هذه القوانين .. ولكي يقرب الله سبحانه وتعالى هذه الصورة إلى الأذهان ، ويجعل العقول تستوعبها .. جعل للحياة قانونين مختلفين تماما .. قانون اليقظة وقانون النوم .

فانت حين تكون مستيقظا تخضع حياتك لحواسك .. فترى بعينيك وتسمع باذنيك ، وتمشى بقدميك إلى آخر ما يحدث بالنسبة لكل فرد فينا .. فإذا دخلت إلى النوم انتقلت من هذه القوانين كلها إلى قوانين مختلفة تماما .

اولا حين تنام فإنك تفقد تماما عنصر الزمن .. لأن الزمن لا بد له من احداث تحده .. فإذا لم تكن هناك احداث فقدت إحساسك بالزمن .. ولذلك فإن الانسان إذا نام .. لا يعرف ساعة يستيقظ لا يعرف كم ساعة قضاها في النوم إلا إذا نظر إلى الساعة .. ولا نجد إنسانا يستطيع ان يقول لك إنه نام ساعة او ساعتين او ثلاثا او سبعا إلا إذا اخبرته انت ، او إذا نظر إلى الساعة ، او إذا تغير الزمن .. بان يكون قد نام ، والشمس مشرقة .. وقلم والليل قد جاء .. إذن ففي قوانين حياة النوم يلغى الزمن .

وانت نائم ترى في المنام اشياء عجيبة لا تراها في الدنيا .. وتجد نفسك في اماكن غريبة لم تشهدها من قبل .. وتلتقى بعدد من الناس انتقلوا إلى رحمة الله منذ سنوات طويلة تتكلم وتتحدث

معهم .. وربما رايت نفسك تنقفز من جبل عال ، وتسقط في واد عميق ،
ولا تصيبك كسور ، ولا تحس بالام .. وتقع لك أحداث لا تتفق مع
منطق الحياة ولا قوانينها . فتجد نفسك مثلا في الهواء بدون طائرة .
او تهبط إلى باطن الأرض .. اشياء لا تتقيد بمنطق ، ولا بقوانين
حياة اليقظة في الدنيا .

والعجيب ان ذلك يحدث لك وكل حواسك معطلة .. فانت ترى
وعينك مغمضتان .. والعين حين تغمض في اليقظة لا ترى .. وانت
تجربى ورجلاك ساكنتان فوق السرير .. وسكون حركة القدمين يتنافى
مع الحركة في حياة اليقظة .. فإذا كنت متيقظا ، وقدمك ساكنتان ،
فانت لا تتحرك .. وترى نفسك وانت خارج هذه النفس .. فالانسان
في حياته الظاهرة لا يرى نفسه وهو خارجها .. وتتكلم ولسانك
لا يتحرك .. وفي الحياة الظاهرة إذا سكن لسانك امتنعت عن
الكلام .. كل هذا يطرح أكثر من تساؤل .. كيف ترى ، وعينك
مغمضتان إذا كان الانسان لا يرى إلا بعينه .. إذن فهناك رؤية بغير
العين .. اى ان وسيلة الرؤية التى وضع الله اسرارها في جسدك
تعتمد على العين في الحياة الظاهرة فقط .. اما وانت نائم فإن هناك
ملكات اخرى ترى .. وهناك ملكات اخرى غير قدميك تتحرك ..
وهناك ملكات اخرى غير لسانك تتكلم .. والقوانين التى تحكمك ،
وانت نائم ، تختلف تماما والقوانين التى تحكمك وانت في حياة
اليقظة .. ومع ذلك فانت انت نفس الانسان الذى ينتقل من قانون إلى
قانون بمجرد ان يضع جسده على السرير وينام .

وتحاول ان تجد تفسيراً لذلك كله فلا تستطيع .. بعض الناس
يقول : إنه العقل الباطن .. والبعض الآخر يقول إنها رغبات
مكبوتة .. كل إنسان يفسر كما يريد .. ولكن اين هى الحقيقة ؟ ..
لا احد يعرف ذلك يقينا إلا اننا حين ننام لا نتبع قوانين حياة

اليقظة .. فإذا كان الانسان ينتقل من قانون إلى قانون بمجرد النوم .. كيف لا ينتقل من قانون إلى قانون عندما تنتهي حياته في الدنيا . ويبدأ الحياة في البرزخ .. ولا احد يعرف ما هي القوانين التي تحكم الانسان عندما يغادر الحياة الدنيا .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب القتلى من كفار قريش بعد موقعة بدر .. وعندما سأل الصحابة : اتكلم الموتى يا رسول الله ؟ .. قال إنهم يسمعوننى ، ولكنهم لا يستطيعون الرد .. وكلم الموتى وهم في قبورهم ، وكان يسمعونهم .. ولكن هذه خاصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما قيل إن على بن ابي طالب رضى الله عنه كلم اصحاب القبور في البقيع .. ولكن كل هذه الخصوصيات لمن اراد الله سبحانه وتعالى ان يفتح له بابا من ابواب الغيب ، ولا يمكن اخذها على اساس انها عمومية يستطيعها كل انسان ، او يقدر عليها كل منا . فهي تختص بصاحبها فقط . ولذلك يجب الا تعمم .. وإنما تنقل عن قالها .. ونصدقها مادام قد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها مروية عنه .

اما نحن فيقف علمنا عند حد ان هناك حياة خاصة في البرزخ لها قوانينها الخاصة ، ولها طبيعتها الخاصة .. كما اعطانا الله سبحانه وتعالى قانون النوم ، وقانون اليقظة ليعرفه كل منا .. فتخرج من ذلك بان هناك اشكالا متعددة ، او اطوارا للحياة يمر الانسان بها في مراحل مختلفة .. كل له قانون يحكمه كما ان لكل خلق من خلق الله قوانين تحكيمه .



بين الموت والبعث

على اننا إذا اردنا ان نأخذ مثلاً من القرآن . لأن هناك حياة بين الموت والبعث .. فإننا نأخذ ما رواه الله لنا عن آل فرعون كتنبيهه لنا عن حياة البرزخ .. يقول الله سبحانه وتعالى في آل فرعون :

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ

(سورة غافر - الآية ٤٦)

عندما يقول الله سبحانه وتعالى :

يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا

فإن في ذلك إشارة إلى ان هناك زمناً .. فالغدو والعشى اوقات . وهذا من صفات الزمن . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا

(سورة غافر - الآية ٤٦)

آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ

إذن عرض آل فرعون على النار لا يكون يوم القيامة .. فإن هناك زمناً يعرض فيه آل فرعون على النار .. ثم هناك زمن آخر عندما يأتي موعد يوم القيامة يدخلون أشد العذاب .. إذن العرض غير قيام الساعة .. الظرفان مختلفان .. وبذلك نرى ان هناك حالتين .. حالة عرض على النار .. وحالة إدخال آل فرعون أشد العذاب يوم القيامة .

وإذا كنا نريد أن نمضى في معرفة معنى الآية الكريمة فإننا نقول: إن الأزمان يمكن أن نحددها نحن بثلاثة : هي : حياة الإنسان .. وما بين الموت والبعث .. ويوم تقوم الساعة . من خلال هذه الأزمنة الثلاثة نحاول أن نحدد متى يتم العرض على النار .. غدوا وعشيا متى ؟

هل كان آل فرعون يعرضون على النار ، وهم في الحياة الدنيا ؟ ثابت أنه لا .. فقد كان فرعون عاليا في الأرض ، ونصب نفسه إلهًا يعبد .. واستخف قومه فأطاعوه .. وكل الأحداث التي رواها القرآن الكريم عن قصة فرعون وموسى تنفى تماما أن العرض كان في الحياة الدنيا .. ولو أن آل فرعون عرضوا ولو مرة واحدة على النار في الحياة الدنيا ما عبدوا فرعون ولو دقيقة واحدة .. بل لكانوا قتلوه .. ولو أنهم عرضوا على النار مرة واحدة في الحياة الدنيا لأمنوا وسجدوا لله تعالى .

إن لم يبق من الأزمنة إلا زمانان : حياة البرزخ ويوم القيامة .. يوم القيامة يدخلون أشد العذاب .. ومن هنا انتفتت حالة أنهم يعرضون على النار يوم القيامة .. إذن فلا بد أنهم يعرضون على النار في حياة البرزخ .. وقد اختص الله آل فرعون بهذا العرض لتجبرهم وعبادتهم لفرعون .. وإدعاء فرعون الألوهية .. لأنها ليست معصية أوامر .. ولكنها معصية أمر .. فبإقى الأمم عصوا الأوامر .. ولكن آل فرعون عارضوا الأمر على الألوهية وأنكروها .. فلذلك كان لهم أشد العذاب .. وكانت حياتهم في البرزخ يعرضون فيها على النار . هذه صورة من حياة البرزخ يرويها لنا القرآن الكريم .. وهناك صور أخرى حجبها الله عنا في علم الغيب .. وكون الله سبحانه وتعالى قد أعد لآل فرعون أشد العذاب ولم يدخلهم النار إلا يوم القيامة دليل على أن العذاب الحقيقي يبدأ يوم القيامة ..

وان الانسان في قبره يعرف مصيره .. يعرف حسناته وسيئاته ..
 يعرف مقامه من الجنة او من النار .. ويرى مقعده ومنزلته فيهما ..
 فإذا عرف ان مقامه في النار ، فذلك عذاب ما بعده عذاب .. لأنه قد
 عرف يقينا إلى أين يذهب .. ولذلك فإن هذا العذاب يجعله في قبره ،
 وكأنه يتقلب في النار حين يرى مصيره الاكيد .. يعيش في ظلمة ..
 ويعيش في كرب ما بعده كرب .. وحين يرى المؤمن مقامه او مصيره
 في الجنة ، فإن ذلك نعيم ما بعده نعيم ، لأنه يحس وكأنه يعيش في
 الجنة ونعيمها .

إن فالعذاب الحقيقي لا يأتي إلا بعد الحساب .. ولكن في القبر
 يكفي ان الانسان يعرف ان مصيره إلى النار ، ليعيش في عذاب
 مقيم .. ويكفي ان الانسان يعرف ان مصيره إلى الجنة ، فيعيش في
 نعيم مقيم .



من هو القرين ؟

ناتى بعد ذلك إلى ما يقال عن القرين .. ولقد سمعنا أشياء كثيرة
تقال عن القرين .. وكيف انه يلزم الانسان في حياته ، وانه يعيش
مدة اطول منه .. وانه عندما يمارس الناس مسالة تحضير الأرواح ،
فإن هذا القرين هو الذى ياتى ، وهو الذى يتكلم .
والحقيقة ان الناس قد اخطاوا في فهم معنى القرين .. والله
سبحانه وتعالى شرح لنا ما المقصود بالقرين .. ومن هو القرين في
قوله تعالى :

قَالَ قَابِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَىكَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ﴿٥٢﴾ لَوَئِنَّا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْتِيَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ لَنْفُسِكُمْ أَفَأُنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿٥٣﴾
فَأُطَاعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْحُجْمِ ﴿٥٤﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتُرِيدِينِ

وقوله جل جلاله :

﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَصَادُقُونَ عَنِ السَّبِيلِ وَحِسْبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٥٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءْنَا قَالَ يَلَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ
الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ

(سورة الزخرف - الآيات ٣٦ : ٣٨)

وقوله عز و علا :

﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يُبْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا

(سورة النساء - الآية ٣٨)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿٣٩﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا

مَا أَطَعْتُنِي وَلَا كُنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ

(سورة ق - الآية ٣٦)

وقوله تعالى :

﴿٤٠﴾ وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرْتَوُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَلْحَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ

(سورة فصلت - الآية ٢٥)

وهكذا نرى ان القرآن الكريم قد بين لنا بما لا يقبل اى شك
او تاويل . معنى القرين .. فالقرين هو من شياطين الانس والجن ..
ومهمته ان يبعد الناس عن الصراط المستقيم .. وان يزين لهم
معصية الله .. وان يوسوس لهم بالسوء .. وان يغويهم إلى طريق
المعصية .. هذه هى مهمة القرين كما اوضحها الله سبحانه وتعالى

لنا في القرآن الكريم .. فكل من يصد عن سبيل الله ، ويحاول ان يبعد الناس عن منهجه فهو قرين .

ولكل إنسان منا قرين يحاول ان يدفعه إلى طريق النار .. ويدخل إلى قلبه الشك في الايمان ، ويزين له عبادة الدنيا .. حتى إذا جاء يوم القيامة تبرا هذا القرين من الانسان ، وقال : يارب انالم اجعله يطغى ، ولم ازين له طريق المعصية .. ولكن هوى نفسه هو الذى دفعه إلى هذا الطريق .. فبعده عن المنهج هو الذى جعله ينحرف .. وهكذا يحاول كل من الانسان العاصى ، وقرينه ان يلقي اللوم على الآخر .. اما القول بان هذا القرين هو شبيهه بالانسان ، وانه يلازمه طوال حياته ويعيش اكثر منه .. فذلك لم يثبت إلا إذا كان المقصود ان القرين يظل يوسوس للانسان بالسوء طول حياته .. ويحاول ان يمنعه من العمل الصالح ومن العبادة .. ويظل يطارده ويلاحقه في كل مكان ويدفعه إلى المعصية .

وعلى اية حال ، الثابت من القرآن الكريم ان القرين هو من شياطين الانس والجن الذين يدفعون الناس إلى معصية الله ، وإلى طريق النار .. وان لكل إنسان قرينا يدفعه إلى هذا الطريق ، وان بعض الناس يستمعون إلى هذا القرين ، ويمضون في طريق البعد عن منهج الله .. وبعض الناس لا يستمعون إلى القرين ولا يبالون به . وبذلك يكونون من اهل الجنة . وبهذا ضرب القرآن مثلا عندما سال واحد من اهل الجنة من القرين الذى كان يوسوس له بالسوء ، فاطلع قرأه في سواء الجحيم ، اى في وسط النار .. ومعنى ذلك ان هذا القرين قد اخفق في ان يقود المؤمن إلى طريق الهلاك .. وهذا واضح من الآيات التى اوردها .



كل شيء .. له كيان

كل شيء في هذ الدنيا له كيان ، ولا بد ان نعرف ان الموت له كيان .
وإذا كنا لا نراه او لانشهده ، فذلك لأنه محجوب عنا .. وكل شيء في
الدنيا هناك ملك موكل به .. والملائكة تتولى الانسان منذ خلقه حتى
موته ، حتى بعثه .

وهناك خلق كثير ، واشياء كثيرة لا نراها . ذلك اننا محدودون
ببشريتنا .. ولذلك فإننا لا نرى إلا ظاهرا من الحياة الدنيا . ذلك
الظاهر الذى يمكننا من ان نؤدى فترة الاختبار التى تمثلها الحياة
الدنيا فى مراحل الحياة .. والناس فى اطوار الحياة المختلفة ، سواء
فى الحياة الدنيا ، او فى البرزخ ، لهم الحياة التى تناسب مع
قوانين تلك المرحلة .. ولا يموت كل من فى الدنيا من مخلوقات إلا
عندما ينفخ فى الصور .. وينبها الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى
فيقول :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ
فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَظُنُّونَ

(سورة الزمر - الآية ٦٨)

ولا احد يعرف إلا الله سبحانه وتعالى ما هو الفارق بين النفخة
الأولى والنفخة الثانية .. والله وحده هو الذى يعلم ذلك .
فترة الموت تستمر ما بقيت الحياة حتى يوم القيامة .. أى ان ملك
الموت او ملائكة الموت يظلون يؤدون اعمالهم فى قبض الأرواح

حتى قيام الساعة .. وكل انسان موكل به ملك موت معين ليقبض روحه في لحظة محددة معينة .. ويقال إنه عندما يطلق سهم الحياة يطلق معه سهم الموت .. ويظل ملك الموت يبحث عن ذلك الموكل بأن يقبض روحه .. إلى ان يأتي الأجل فيهديه الله إلى مكانه .

الموت .. بلا أسباب

ولقد جعل الله لكل شيء سببا ، ماعدا الموت .. فالموت يأتي بلا أسباب قد يكون أجل الانسان ، وهو في بطن امه لم ير الدنيا بعد .. وقد يكون عمره في الدنيا ساعة او ساعتين .. او يوما او اياما او شهورا او سنوات . فلكل إنسان أجله .
ولذلك فإن بعض الناس قد يقول إنه تشاجر مع انسان فانفعل ذلك الانسان ومات .. وذلك قول خطأ .. لأن هناك الموت ، وهناك القتل .. والله سبحانه وتعالى قال عن رسوله :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَهِونَ أَنْ يَقُولُوا قَوْلًا سَاءَ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِ مِنَ رَّبِّهِ قَوْلًا لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الصَّالِينَ الْقَلِيلَ ﴾

(سورة ال عمران - الآية ١٤٤)

إن الموت يختلف عن القتل .. ولكي نفهم هذه الحقيقة نقول ان القتل هو هدم البنية الأساسية للانسان ، فالروح لا تبقى إلا في بنية سليمة تناسب بقاءها .. فإذا هدمت هذه البنية خرجت الروح .. اما الموت فإن له أجلا محددًا لا يتأخر عنه لحظة ولا يتقدم .
والانسان لا يملك جسده .. ولو كان يملك هذا الجسد لكان يسيطر عليه .. ولكن معظم نشاطات الجسد الانساني تتم بدون إرادة منا وبامر الله .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عاقب المنتحر بالخلود

في النار . لأن هذا المنتحر قد قام بهدم بنية هي ليست ملكه .. لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها ، وهو الذي يملكها .. ولنفس السبب حرم الله القتل إلا بالحق .. وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

أَنْهَ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ

فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا

(سورة المائدة - الآية ٣٢)

واوعد القاتل بالخلود في النار إذا تعمد القتل بغير ما شرع الله . فإذا مات الانسان خلال مشاجرة مثلا او مشادة لم يصب فيها بإصابة قاتلة تهدم بنيته ، فإنه في هذه الحالة يكون قد تصادف أجله مع هذه المشاجرة ، او هذا الانفعال .. اما إذا هدمت بنيته الأساسية يكون ذلك قتلا يستحق القصاص في الدنيا والآخرة . ولا يستطيع إنسان ان يعرف ماسيحدث مقدا إلا الانبياء .. وهم من شاء الله سبحانه وتعالى ان يفتح لهم بابا من ابواب الغيب .. لا يعرف إنسان إن كان مصيره إلى الجنة او النار .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار . وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة » .

(أخرجه مسلم)

ومما يروى في هذا الصدد أنه في إحدى الغزوات كان أحد المقاتلين يقاتل مع المسلمين بشجاعة فائقة .. وذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه . ممتدحين بشجاعة هذا الفارس وإقدامه في سبيل الله .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أهل النار ..

فتعجب الصحابة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ومضت المعركة ، وجرح هذا المقاتل ، ولم يتحمل الجرح ،
 فوضع سيفه تحت رقبته وضغطه لينفذ السيف من راسه فمات ..
 وبذلك مات منتحرا .. واستحق أن يكون من أهل النار .. وعاد
 الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا .. نشهد أنك
 لرسول الله .. ولكن كيف عرفت أنه من أهل النار ؟ .. قال كان يقاتل
 ليقاتل عنه إنه شجاع .. وقد قيل .. والمعنى أن هذا المقاتل لم يكن ،
 وهو في المعركة ، يحارب في سبيل الله .. بل كان يحارب وفي قلبه غرور
 الدنيا ، حتى يقول الناس إنه شجاع مقدام .. ولذلك لم تكن حربه
 هذه في سبيل الله ، ولكن لارضاء الغرور الدنيوى .

ومعنى الحديث أنه يعمل أحدكم عمل أهل الجنة .. أن الإنسان
 قد يعمل الصالحات في حياته ، حتى يصبح قريبا من الجنة ، ثم
 يغويه الشيطان .. ويغلبه بريق الدنيا فيترك العبادة ، ويطلق
 العنان لشهواته ، ويضيع عمله الصالح بالانغماس في المعاصي ..
 وقد يعصى إنسان الله حتى يكاد يصبح من أهل النار ، ثم يتوب إلى
 الله فيهدى الله قلبه ، ويتوب عليه ، ويغفر له .

كل العذاب مؤجل

إلا ظلم الناس

وكل العذاب في الدنيا مؤجل إلا ظلم الناس .. ذلك أن الله سبحانه
 وتعالى يؤجل للعاصين حسابهم إلى يوم القيامة ماعدا ظلم الناس ،
 فإن الله سبحانه وتعالى يقتص من الظالم في الدنيا .. ذلك أن الله إذا
 ترك الظالم يستشري بظلمه انتشر الظلم في الأرض ، وعم الفساد
 بشكل كبير .. فالفساد الأكبر يأتي من ظلم الناس للناس .. والله
 سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل .. ويعطى الظالم الفرصة بعد

الفرصة ليثوب .. وياخذه بالعذاب الاصغر عله يرتدع .. عله يفيق .. فإذا استشرى في ظلمه رغم العذاب الاصغر الذي اراه الله له ثم رفعه عنه .. فإنه ياخذه اخذ عزيز مقتدر .. فلقد اخذ الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه بالعذاب الاصغر اولا .. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ١٣١ ﴾ وَقَلْنَا حَنَّا الرِّعُونَ بِالسِّينِ وَنَقَصِر

مِنَ الشَّعْرَةِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(سورة الاعراف - الآية ١٣٠)

ويقول تعالى :

﴿ ١٣٢ ﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ

وَالجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿ ١٣٣ ﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ ١٣٤ ﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ
بِالْغُوهِ إِذْ أُمِرُوا أَنْ يَكُونُوا ﴿ ١٣٥ ﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفَهُمْ فِي أَلِيمٍ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

(سورة الاعراف - الآيات ١٣٣ : ١٣٦)

وهكذا نرى ان الله سبحانه وتعالى قد اخذ آل فرعون بالعذاب .
الاصغر قبل ان يهلكهم بالغرق .. ولكنهم رفضوا ان يرتدعوا بهذه
الآيات .. وكلما رفعت عنهم آية من آيات العذاب الاصغر ، عادوا إلى
كفرهم وطغيانهم .. ولو انهم بعد اى آية من هذه الآيات تضرعوا
إلى الله ، وعادوا إليه ، فربما تقبل الله توبتهم إن شاء .

وهكذا نجد ان الله يأخذ الظالم بالعذاب الاصغر قبل ان يهلكه
ويمهله .. فإذا تجبر في الأرض ، وزاد في ظلمه ، فإنه في هذه الحالة
يهلكه .. والسماء تتدخل دائما لتزيل الظلم من الأرض عندما يستكين
الناس للظالم ، ولا يتحركون لدفع الظلم عن انفسهم .. ذلك ان
الذين لا يؤمنون بالآخرة يستشرون عادة في ظلمهم .. ولذلك لا بد ان
تتدخل قدرة الله في الحياة الدنيا لتزيح الظالم او تهلكه ، حتى
لا يستشري الظلم في الأرض .. وحتى لا يشقى خلق الله بالظالم حين
يزداد في ظلمه وطغيانه .. لذلك فالله سبحانه وتعالى حريص على ان
يرى المظلوم يوما في ظلمه ، وان يرى المظلوم هذا الظالم الجبار
مجردا من قوته ذليلا .. تلفظه الأرض كلها .

ولعلنا شهدنا في الفترة الأخيرة حكما دانت لهم
الأرض . واستشري ظلمهم بشعوبهم ، وتدخلت إرادة السماء لتنزح
عن هؤلاء قوتهم وجبروتهم .. وانطلقوا مذعورين خائفين ..
لا يجدون مكانا في الأرض ياوون إليه ، رغم عظم ثرائهم ، ووفرة
المال عندهم .. ترفضهم حتى تلك الدول التي كانت تعينهم على
الظلم .

ولعل قصة كارلوس الذى كان حاكما طاغيا في الفيليين .. يقتل
ويدمر ويقيم المذابح .. وبين يوم وليلة وجد نفسه مجردا من
السلطان .. ترفضه دول الدنيا كلها رغم ما يملك من مال .
إنن فالقصاص من الظالم يتم في الدنيا .

الانسان يرى الغيب

بقيت بعد ذلك نقطتان .. الأولى : هي ان الانسان يرى بعد الموت
 ما لم يكن يراه في الحياة الدنيا .. وفي ذلك يقول الله تعالى :

الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُم

فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَادٍ

(سورة ق - الآية ٢٢)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الناس نيام . فإذا ماتوا انتبهوا » .

والبصر الحديد هو البصر الحاد الذى يدرك إدراكا أفاقه أوسع
 لم يكن يدركه .. فكل بصر له مدى أفق معين .. وعندما يبتعد الشيء
 عن البصر يصغر ويصغر إلى أن يتوارى ويزول .. فلا يعود البصر
 يدركه .. ولكن هل حقيقة ان الشيء يزول ؟ لا . الشيء موجود في
 مكانه .. ولكن مدى البصر هو الذى لا يدركه فنعتقد انه توارى .
 والناس في الدنيا لكل منهم مدى بصر معين .. حدود لقوة
 البصر .. فإذا أتيت بشيء واحد ، وجئت برجلين : أحدهما ضعيف
 البصر ، والآخر قوى البصر . فإن أحدهما ، وهو صاحب البصر
 الأقوى ، يرى الشيء .. ولكن ضعيف البصر لا يراه .

ولذلك يريد الله سبحانه وتعالى أن ينبهنا إلى أن هناك أشياء
 لا نراها في الدنيا . لأن بصرنا الدنيوى محدود .. ولكن هذه الأشياء
 موجودة رغم أننا لا نراها .. ورغم أنها غيب عنا .. ولا يخفى هذه
 الأشياء إلا أن بصرنا البشرى محدود .. فإذا جاء الموت فإنك ترى
 الأشياء التى كنت تكذبها في الدنيا .. فكان الغشلاوة قد رفعت عن
 بصرك .. فاصبحت هذه الأشياء واقعا في حدود بصرك بعد أن كان
 على البصر غطاء دنيوى يمنعك من رؤيتها ..

وهكذا فإن ما كنت تكذب به تراه الآن ويراه بصرك الذى اصبح
اليوم قويا جدا .. ولو انك امنت بالغيب لرأيت الآن ما امنت به
واقعا .. ولرأيت كل ما ستراه من الغيب الذى حجب عنك رؤية
إيمانية ، ولكن لك اليوم رصيد إيمانى ينجيك من النار .. وهذا لوم
وتقريع لغير المؤمنين ..

اما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » ..

معناه ان الناس فى الدنيا كالنائم الغافل عن الحقيقة ، وعما
ينتظرهم فى الآخرة . فإذا جاءت لحظة الموت رأى الناس ما لم يكونوا
رأوا فانتبهوا من غفلتهم الدنيوية التى كانوا فيها نياما .. والنائم
لا يدري ما حوله ، ولا يعرف ماذا يحدث .. فلما افاقوا من غفلة
حياتهم الدنيوية تنبهوا إلى المصير الذى هم ذاهبون إليه ، ورأوا
ما لم يكونوا يرون . ولكن بعد قوات الأوان .

والنقطة الثانية : هى انه لا موت بعد يوم القيامة .. ذلك انه
يؤتى بالموت فيذبح .. فينتهى الموت تماما ، ولا تبقى إلا حياة
الخلود .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل لنبدأ بعد ذلك فى
الحديث عن يوم الدين .. ولماذا وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه
يوم .. وما مقدار هذا اليوم ؟ .. وما معنى الزمن ؟



أهاديث قدسية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « يقول الله عز وجل : العزة إزاري ، والكبرياء رداي . فمن
 نازعني واحدا منهما قذفته في النار . »

* * *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « يقول الله عز وجل : لقد خلقت خلقا ، السننهم احلى من
 العسل ، وقلوبهم امر من الصبر . فبى حلفت لا يتحنهم فتنة
 تدع الحليم منهم حيران . فبى يفترون ام على يجترئون . »

* * *

« يقول الله تبارك وتعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك .
 فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري ، فاننا منه بريء ، وهو للذي
 أشرك . »

* * *

« يقول الله عز وجل : إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه .
 وإن كره لقائى كرهت لقاءه . »

* * *

« يقول الله عز وجل : من شغله القرآن ، وذكرى عن
 مسالتي ، اعطيته افضل ما اعطى السائلين . وفضل كلام الله
 على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه . »

* * *

« يقول الله عز وجل لأهون اهل النار عذابا :
 لو ان لك مائى الارض من شىء . كنت تفتدى به ؟ قال :
 نعم . قال : فقد سالتك ما هو أهون من ذلك وانت في صلب
 آدم : ان لا تشرك بى شيئا . »

■ الفصل الرابع ■

الله والزمن



لا توجد حيرة تملأ حياة الناس كحيرتهم بالنسبة للزمن .. ذلك لأنهم عاشوا حياتهم كلها مع الزمن فالقوه .. وحددوا اوقاتهم في الدنيا بالزمن فلم يعرفوا غيره .. وكان للزمن تأثير مباشر على حياتهم .. فهم يقيسون به اعمارهم ، وهم يقيسون به احوالهم .. وهم يتخذونه مقياسا للحياة كلها .. فمواعيدهم ولقاءاتهم وإنجازاتهم وكل حياتهم مربوطة بالزمن .. يقولون : سنفعل كذا في يوم كذا .. ويقولون : سنتقابل في الساعة الثالثة او الرابعة او السادسة .. او في الشهر القادم .. ويحددون عمر ما يفعلونه بالزمن .. فهذا سيستغرق ثلاثة اشهر .. وهذا يستغرق ثلاث سنوات إلى آخر ما نعرفه جميعا . بل إن العبادات مرتبطة بالزمن .. فصلاة الفجر مثلا لها وقت .. وصلاة الظهر لها وقت .. وكذلك العصر والمغرب والعشاء .. والحج له زمن او ميقات معين .. والصوم له زمن او ميقات معين . بل إن الزمن يسيطر على حركة الحياة .. والله سبحانه وتعالى قد خلق النهار للسعي إلى الرزق والعمل .. والليل للسكون والهدوء ليستريح الجسد البشرى ، ويجدد طاقته لعمل اليوم التالي .. وهذا قانون من قوانين الحياة .. فالإنسان لا يستطيع ان يعمل ليلا ونهارا .. ولو حاول ذلك خلال ايام قليلة لضاعت قواه ، ولم يستطع العمل .

واش سبحانه وتعالى هو خالق الليل والنهار .. وجعل الليل
سكنا .. وجعل آية النهار مشرقة بالشمس .. وفي ذلك يقول الله
سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَسْبُكَ ﴾

آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .

(سورة الاسراء - الآية ١٢)

وهذا ليلفتنا الله سبحانه وتعالى الى ان العين لا تبصر بذاتها ..
ولكن لا بد ان تدخل إليها اشعة النور لتبصر .. فانت في الظلام
الدامس لا تستطيع ان تبصر شيئاً مهما تكن قوة بصرك .. ولكنك في
ضوء النهار ، او في ضوء المصباح ، تستطيع ان ترى .. ولو كان
للعين قوة ابصار ذاتية لأبصرت ليلاً ونهاراً .

والليل والنهار مقياس من مقياس الزمن .. ولقد ثار جدل كبير
حول خلق الليل والنهار ، وايهما خلق اولاً : هل هو الليل
او النهار .. ولقد كان الاعتقاد في الماضي ان الليل قد جاء اولاً ، ثم
بعده النهار .. ولكن الله سبحانه وتعالى رد على ذلك ، وصحح هذا
المفهوم في القرآن الكريم ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ ﴾

تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة يس - الآية ٤٠)

وهنا رد الله سبحانه وتعالى وصحح مفهوما خاطئاً كان يقول إن
الليل يسبق النهار .. ورد الله سبحانه وتعالى بانه لا النهار

يسبق الليل ، ولا الليل يسبق النهار .. وهكذا بين الله تبارك وتعالى
أن الليل والنهار خلقا في وقت واحد .. وفي هذا دليل على كروية
الأرض ، وعلى دورانها حول نفسها .. فلو أن الأرض كانت مسطحة ،
أو مربعة ، أو على أي شكل آخر ، لخلق النهار لولا ساعة خلق
الشمس .. ثم بعد ذلك جاء الليل .. أو لخلق الليل لولا ، ثم بعد ذلك
جاء النهار .. ولكن كون الأرض كروية ، فإن النهار والليل يوجدان
معا على سطح الأرض .. ودوران الأرض حول نفسها هو سر تعاقب
الليل والنهار .

واليوم في حياة البشر هو فترة من الزمن تبدأ من شروق الشمس
إلى شروق الشمس .. أو من شروق الشمس إلى غروب الشمس ..
بعض الناس يطلق على النهار كلمة يوم .. والبعض الآخر يطلق على
الليل والنهار كلمة يوم .. وفي كلتا الحالتين هو وصف لفترة من
الزمن تحدها علامة معينة من شروق الشمس إلى غروبها .. أو من
شروق الشمس إلى شروقها في اليوم التالي .



الزمن له .. وجود نسبي

الزمن لا يوجد في حياة البشر وجودا مطلقا .. بل هو وجود نسبي .. فكل حدث بالنسبة لنا له زمن محدود ، او ظرف زمان .. وله مكان محدود يقع فيه ، او ظرف مكان .. وذلك حتى يستطيع العقل البشرى ان يستوعبه .. ولا يوجد فعل في العرف البشرى يمكن ان يقع إلا في زمن معين ، ومكان محدد .. ولا نستطيع نحن ان نستوعب هذا الفعل إلا بالزمان والمكان .. فكل إنسان منا له تاريخ ميلاد ومكان ميلاد .. وله تاريخ وفاة ومكان وفاة .. وبغير ذلك لا تفهم الامور .. فنحن عاجزون عن فهم الامور على إطلاقها .

والانسان لا يملك الزمن ، ولكن الزمن هو الذى يملكه .. فانت لا تستطيع ان تاتى بالماضى لتغير شيئا قد حدث فيه .. فما حدث قد انتهى وخرج من قدرتك تماما .. ولذلك فإنك إذا كنت قد ارتكبت اى عمل ، كجريمة قتل او سرقة ، او انفقت مالا ، او تزوجت ، او انجبت امراتك طفلا .. فإنك لا تستطيع ان تعيد الزمن ، وتمحو هذه الاحداث .. حتى تعود الحياة إلى الشخص الذى قتلته ، او لايوجد الابن الذى انجبته .. او تستعيد المال الذى انفقته .. وكذلك كل الاحداث .

وكما انك لا تملك القدرة على الماضى ، فإنك لا تملك القدرة على المستقبل .. فانت لا تستطيع ان تعرف ما هو قادم من شر حتى تتقيه .. ولا ماسيحدث لك من خير ، حتى تستطيع ان تستزيد منه .. ولا الاخطار التى ستقابلها ، حتى تستطيع ان تتقيها .. ولا الاحداث التى ستتم ، حتى تستطيع ان تستعد لها .. ولكنك لا تملك إلا اللحظة التى تعيشها .

والزمن حجاب من أحجية الغيب .. خلقه الله سبحانه وتعالى
ليحجب عنا الغيب .. كما أن المكان حجاب أيضا من أحجية
الغيب .. وهناك حجاب الزمن الماضي يحجب ما حدث عنك .. حقيقة
تستطيع أن تقرأ عنه في الكتب .. وأن تسمع عنه من الرواة .. ولكن
كتب التاريخ مليئة بالمتناقضات .. كل يحاول أن يروى من وجهة
نظره وعلى هواه .. ورواة التاريخ مختلفون .. فإذا اختلفت
الروايات .. فهل تستطيع أن ترى رؤية العين ما حدث في الماضي حتى
تصل إلى اليقين .. إنك لا تستطيع . لأن الزمن الماضي حجاب
للغيب .. فهو غيب عنك لم تراه ولن تراه .

وإمن المستقبل أيضا من حجب الغيب .. فانت لا تستطيع أن
تعرف ماذا يحدث غدا .. ولا تستطيع أن تعلم ماذا يحدث في العام
القادم .. والمكان أيضا من حجب الغيب . فانت لا تستطيع أن تعرف
وإنت في مكان محدد ماذا يحدث في الأماكن الأخرى من الدنيا ..
وهكذا كان الزمن من حجب الغيب .

وإنت لا تستطيع أن توقف الزمن ، لأنه - كما قلت - هو الذي
يملك وإنت لا تملكه . وإنت لا تستطيع أن تبقى طفلا ، ولا أن
تبقى شابا لا يؤثر فيك الزمن .. ولكنك تنطلق من الطفولة ، إلى
الشباب ، إلى الكهولة رغما عنك .

﴿ كل ما غللكه .. لحظة ﴾

وهكذا لا يملك الإنسان إلا اللحظة التي يعيش فيها .. واللحظة
التي مضت هي ماض لا يملكه إلا الله .. واللحظة القادمة هي
مستقبل لا يملكه إلا الله .. وإرادتك لا تستطيع أن تجعلك طفلا
لا ينمو ، أو شابا لا يصيبه الهرم .. أو إنسانا لا يدركه الموت ..
فالزمن يمضي ، وإنت تأتي إلى الدنيا فترة محدودة ، وترحل .
وما تفعله لا تستطيع أن تعيد الزمن لتصحيحه .

ولذلك إذا قلنا يوما فهذا قانون دنيوى .. لا تسيطر عليه أنت .. فترة من الوقت لا تستطيع ان تعيدها .. وإذا نحن استطعنا ان نعرف الزمن بالقوانين البشرية .. فإن الزمن بمعناه المطلق غير موجود ، اى انه نسبى .. مرتبط بالأحداث ، فهو فترة قياس لاحداث معينة تقع .. وبدون هذه الاحداث لا يصبح للزمن معنى ولا وجود .. فمعنى زمن طويل ان الحركة التى حدثت فيه واسعة .. ومعنى زمن قصير ان الحركة التى حدثت فيه ضيقة وسريعة .. فإذا استعرضت عمرك مثلا .. وقلت إن فترته ستون سنة او سبعون سنة .. فانت فى الحقيقة لا تستعرض إلا احداثا كثيرة ، وحركة حياة واسعة حدثت .. وإذا قلت : إن هذا الشيء لم يستغرق إلا ثوانى معدودة .. فانت تستعرض حركة ضيقة وسريعة .. وبدون الحركة لا يكون هناك معنى للزمن .. ولكن ذلك الذى يغفل عن الزمن بنوم او بموت لا يشعر بالزمن .. وليس الزمن موجودا فى حياته .. فنادرا عندما يفام الانسان ان يستطيع وحده ، دون ان يلجأ الى ظواهر الزمن كالساعة او الليل والنهار ، ان يحدد عدد الساعات حين يستطيع إلا إذا نظر فى الساعة .. ولا يستطيع فاقد الوعى لفترة من الزمن ان يحدد الفترة التى قضاها فاقتدا للوعى .. وكذلك لا يستطيع الانسان عندما يموت ان يحدد مدة الزمن التى قضاها فى البرزخ .. ولذلك نجد القرآن الكريم يلفتنا إلى ذلك فى يوم البعث فى قوله تعالى :

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِحَمِيهِمْ وَتَتَذَكَّرُونَ أَنَّ لِيْتِمَّ الْأَقْلِيلَ ﴿٥٢﴾

(سورة الاسراء - الآية ٥٢)



وقوله تعالى :

﴿ قَدْ كُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ

عَدَدَ سِنِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ قَالُوا بَلْثَنَاءُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْلِ الْعَادِينَ ﴿١١٢﴾
قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا فِيلًا لَلَّوْا نَكْمَ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾

(سورة المؤمنون - الآيات ١١١ : ١١٤)

وقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ

زُرْقًا ﴾ ﴿١١٤﴾ يَتَخَفَتُونَ بِهِمْ مِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١١٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١١٦﴾

(سورة طه - الآيات ١٠٢ : ١٠٤)

وهكذا نرى ان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في القرآن الكريم ان حياتنا في البرزخ لا تخضع للزمن .. ذلك اننا حين البعث يوم القيامة يسالنا الله سبحانه وتعالى عن المدة التي قضيناها في البرزخ .. فيقول بعضنا : لبثنا يوما او بعض يوم .. ويقول المجرمون وهم لا يستطيعون تحديد الزمن . فبعضهم يقول : إنها عشرة أيام ، وبعضهم يقول : إنها يوم ، وبعضهم يقول إنها ساعة .. ولو كان هناك زمن في حياة البرزخ لعرف الذين عاشوا فيه كم قضوا .. ولكن عدم علمهم وتخبطهم يبين ان من يموت .. لا يستطيع ان يحدد الزمن الذي يقضيه في حياة البرزخ ، لان الزمن لا يقاس إلا بالأحداث .

صورة الزمن .. في القرآن

على ان هناك صورة اخرى اعطاها الله لنا في القرآن الكريم هي سورة اهل الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين ، وازدادوا تسعا .. يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ نِعَامًا مِّنَ الْجِبَالِ تَجْرِي أَسْفَلَ ۖ وَكَانَ الْجِبَالُ سَوَابِغًا مِّنْ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بِرِزْقِنَا الَّذِي نَزَّلْنَا بِاللَّيْلِ فَسَخَّرْنَا هَٰؤُلَاءِ لِقَوْمِهِمْ كَمَا نَحْنُ لَكُمْ فَاعْبُدُوا اللَّهَ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ قَلِيلًا ۗ ﴿١١﴾

لَبِثُوا أَمْدًا

(سورة الكهف الآية ١٢)

ويقول الله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ ۗ ﴿١٨﴾

لَبِثُوا لَوْ أَرَادُوا كِبَٰرًا مِّنْهُمْ كَرِهُوا لَكُمْ ۖ وَسَطَّرْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاتِ طِينًا مِّنْ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فِيهَا سَاهِيَةً ۗ ﴿١٩﴾

يَوْمَ قَالَ أَرَبُكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۗ ﴿٢٠﴾

(سورة الكهف - الآية ١٩)

في هذه الآيات يريد الله سبحانه وتعالى ان ننتبه إلى قوله الكريم :

﴿ ثم بعثناهم ﴾

وقوله تعالى :

﴿ وكذلك بعثناهم ﴾

أى ان الإيقاظ هنا كان إيقاظ بعث كما سيحدث يوم القيامة ..
وكان الهدف منه ان يلتفتنا الله إلى اننا لن نعلم كم من الزمن قد مر
علينا قبل ان نبعث .. ولذلك قال :

﴿ بعثناهم لیتساءلوا بينهم ﴾

أى ان البعث تم حتى يعرفوا ان تأثير الزمن يمكن ان يوقفه الله ..
ولذلك حين تساءلوا ، وسألوا بعضهم البعض ، لم يكن عندهم
ما يحدد لهم الزمن الذى قضوه خلال فترة النوم .. فحدوده على
اساس العادة .. فالانسان عادة لا ينام إلا جزءا من اليوم ، او على
أقصى تقدير يوما بأكمله إذا كان فى غاية الإرهاق .. والدليل على ان
قولهم صادق بالنسبة لهم ، انهم لم يروا تأثير الزمن على اجسادهم ،
ولا على وجوههم .. بل بعثوا على نفس الهيئة التى ناموا عليها .
لو ان بعضهم مثلا نام ، وشعره أسود ، واستيقظ وقد شاب
شعره .. لساعده ذلك على ان يقيس الحدث على مدة نومه .. لو ان
أحدهم نام ، وهو شاب ، ثم استيقظ ليجد نفسه كهلا .. فى هذه
الحالة كان من الممكن ان يقيس مدة النوم على مدة الحدث .. حينئذ
تكون هناك أحداث قد حدثت ، وهى انتقال من الشباب إلى
الشيخوخة ، والحدث هو قياس الزمن .. فكانوا حينئذ
ولو بالتقريب يستطيعون ان يحددوا مدة نومهم .. ولكن ماداموا قد
استيقظوا على نفس الهيئة التى ناموا عليها .. إذن ففى هذه الحالة
يقيسون الحدث بالزمن .. كيف حددوا الحدث .. إنهم استخدموا
عادة النوم عند الانسان .. او مدة النوم ، أقلها بعض اليوم ،
وأكثرها يوم كامل ، لأنهم ليس عندهم مقياس للزمن فلا يوجد مقياس
للزمن يعيش به الانسان مادام غائبا عن الأحداث .



طلاقة القدرة

توتف الزمن

إذا انتقلنا إلى قصة أخرى انبانا القرآن عنها في قوله تعالى :

﴿أَوَكَلَّيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ
أَتَىٰ الْحَيَّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا نُهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ
لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ
إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفُ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة البقرة - الآية ٢٥٩)

في هذه الآية يريد الله سبحانه وتعالى ان يلفتنا إلى طلاقة قدرته في الكون .. وان الكون الذي يعمل بالاسباب التي خلقها الله فيه طلاقة القدرة التي هي فوق الاسباب ، فلا يمكن ان تكون الاسباب ، وهي من خلق الله ، قيادا على الخالق سبحانه وتعالى .. مر هذا الرجل على قرية خربت بعذاب من الله او بذنوب اصحابها وفسادهم .. فتعجب ! كيف والارض قد ماتت وذهبت منها كل اثار الحياة من انسان وحيوان ونبات .. كيف سيحيي الله هذه الارض التي ليس فيها اى مقومات للحياة .. وحينئذ ارادت مشيئة الله ان تريبه هذا

بالتجربة ، وان يلفتنا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، فاماته الله مائة عام ، ثم بعثه .. ولما استيقظ وعادت الحياة إليه ، لم يكن فيه شيء قد تغير .. بل استيقظ على نفس الهيئة التي مات عليها .. استيقظ شابا قويا لا شيء حوله يستطيع ان يقيس عليه الزمن .. وحينئذ سأل الله : كم لبثت ؟ فقال قياسا على عادة النوم عند الانسان . وربما اكون قد نمت يوما ، وربما نمت بعض اليوم .. ولذلك كان صادقا مع نفسه حين قال : لبثت يوما او بعض يوم .. حينئذ انباه الله سبحانه وتعالى انه قد لبث مائة عام .. ولكي يعطيه الدليل المادى على ذلك قال :

﴿ انظر إلى طعامك وشرابك ﴾

فوجد الطعام لم يتغير .. ثم طلب الله منه ان ينظر إلى حماره .. فوجد ان الحمار قد مات ، ولم يبق منه إلا عظامانخره .. اى انه مات .. ثم تعفن ، ثم تحلل ، حتى اصبح عظاما نخرة ، فقال : إن ذلك لا يمكن ان يحدث في يوم واحد .. بل لابد له من فترة طويلة .. فلما تبين له ذلك اعطاه الله آية بان جعله يشهد عودة العظام النخرة ، وعودة الحياة إلى حماره .. فقال الرجل :

﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾

ولقد كان مرور الزمن على الحمار وتوقف الزمن عن الطعام .. آية بان الله سبحانه وتعالى يستطيع بطلاقة قدرته ان يجعل الزمن يمضى او يقف .

نكون بذلك قد وصلنا إلى ان مقياس الزمن هو الأحداث التي تقع فيه .. وان الانسان إذا كان فاقد الوعي ، او في حياة البرزخ ، لا يستطيع ان يحدد الزمن .. وهنا يقف الزمن .. اى لا يكون هناك زمن .

إن فالزمن شيء نسبي في الحياة .. وهو كما لا نحس به عندما ننام ، ولا نستطيع ان نحده .. كذلك في حياتنا في البرزخ لا نستطيع ان نحده الزمن ، لأنه لا زمن في هذه الحياة .

ما معنى يوم القيامة

ننتقل بعد ذلك إلى ان الله سبحانه وتعالى اطلق على البعث ووصفه بأنه يوم ، فقال سبحانه وتعالى : يوم القيامة .. ويوم الدين .. وكلمة يوم يمكن ان تؤخذ بأنها موعد . غير ان بعض الناس يتساءلون : كيف يمكن ان يطلق الله لفظ يوم ، وهو لا يحده زمان ولا مكان .. وليس هناك زمن .

إن هذا الاطلاق له أكثر من معنى .. فيمكن ان نقول إن هذا تنبيه بأن الحساب سيمضى بلا توقف .. بمعنى انه لن يتوقف الحساب ليستريح الناس ويناموا .. ثم يستأنف في اليوم التالي كما يحدث في عالمنا البشرى .. ويقرب الله هذا إلى اذهاننا فيطلق اسم يوم .. على اساس ان العمل يستمر طوال النهار ثم يتوقف ليلا . ولكن الذي يجب ان نفهمه ان كلمة يوم عند الله لا يحدها زمان .. او لا يحدها وقت .. الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ

(سورة الحج - الآية ٤٧)

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ يَوْمَ كَانَ مَقْدَرُهُ

(سورة المعارج - الآية ٤)

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

وأمام هاتين الآيتين لابد أن نتوقف قليلا .. كيف يكون اليوم عند
 الله سبحانه وتعالى مدته مرة الف سنة ؟ ومرة خمسون الف
 سنة ؟ .. وإى مقياس لليوم عند الله .. هل يوم القيامة يساوى يوما
 من أيام الدنيا .. أو يساوى الف سنة .. أو يساوى خمسين الف
 سنة .. إن ذلك يلفتنا إلى حقيقة هامة .. تفهمنا معنى اليوم فى
 استخدامه مع يوم القيامة .. إذا أردنا أن نعرف المعنى المطلق
 للزمن ، فإنه كما قلنا لا يوجد معنى مطلق .. ذلك أن الله سبحانه
 وتعالى هو خالق الزمن .. ولذلك فإنه يستطيع أن يخلق يوما مقداره
 ساعة .. ويوما كأيام الدنيا مقداره أربع وعشرون ساعة .. ويوما
 مقداره الف سنة .. ويوما مقداره خمسون الف سنة .. ويوما مقداره
 مليون سنة .. فذلك خاضع لمشيئة الله .

ويوم الدين موجود فى علم الله سبحانه وتعالى .. بأحداثه كلها ..
 بجنته وناره .. وكل الخلق الذين سيحاسبون فيه .. وعندما يريد
 الله سبحانه وتعالى لهذا اليوم أن يكون ويخرج من علمه إلى علم
 مخلوقاته .. سواء كانوا من الملائكة أو البشر أو الجن .. يقول الله
 سبحانه وتعالى لهذا اليوم

﴿ كن ﴾ .

فيخرج من علمه إلى علم خلقه .. أو يخرج من علم الله الأزلى ، إلى
 علم غير الله المحدود .. والله سبحانه وتعالى لا يحده يوم ولا زمان ،
 ولا مكان .. ولكنه إذا قال هذا يوم الدين .. كان ذلك يوم الدين ..
 فإذا أراد الله أن يحدث فى هذه الدقيقة ، حدث فى هذه الدقيقة ..
 وإن أراد يحدث بعد الف عام ، يحدث بعد الف عام .. وإن أراد أن
 يظهره بعد مليون سنة ، حدث بعد مليون سنة .. فيوم الدين
 موجود فى علم الله بكل مواصفاته من زمان ومكان ، وطريقة بعث
 وحشر ، وطريقة حساب وجنة ونار .. كل هذا فى علم الله .. والله
 وحده هو خالق هذا اليوم .. وهو وحده الذى يحدد كل أبعاده .

اليوم في حياة البشر

ونحن إذا قلنا «يوم» ، بمنطق البشر فهذا قانون دنيوى ..
يحكمنا ولا نحكمه .. يسيطر علينا ولا نسيطر عليه .. حقبة من
الزمن تمر ، سواء أردنا أو لم نرد بأحداثها ووقائعها ، وكل ما يتم
فيها .. هذا هو المنطق البشرى .. ولكن الله سبحانه وتعالى فوق هذه
القوانين كلها .. انه هو خالقها يامرها فتطيع .

إن قىوم الدين يتم بمقاييس الله سبحانه وتعالى يضعها هو يزمّن
يخلقها فى موعده .. والله سبحانه وتعالى يريد أن يبينها باختلاف
المقاييس فى الآخرة عن مقاييس الدنيا .. فكما أننا قد بينا أن القوانين
تختلف بين النائم والمستيقظ .. والموجود فى حياة الدنيا ، والموجود
فى حياة البرزخ .. فإن القوانين أيضا تختلف يوم القيامة .. والله
سبحانه وتعالى يريد أن يبينها إلى الا ناخذ شيئا فى يوم القيامة
بمقاييس الدنيا .. فتحن سترى ما كان محجوبا عنا .. وستشهد
مالم تشهد فى حياتنا الدنيوية .. وستكون هناك أحداث تقع لم تكن
تتحيل انها موجودة .. ولذلك إذا أراد الله أن يخلق يوما كيوم
القيامة مقداره الف عام لاستطاع .. ولو أراد أن يفرق بين هذا اليوم
وغيره .. بأن يجعله مليون سنة ، فإن ذلك يحدث .. إذن فلا ناخذ
نحن ، ولا نحاول أن نحدد مقاييس يوم القيامة بمقاييسنا
الأرضية .. بل علينا أن نبتعد عن ذلك تماما .. ولناخذ تحديد الله
لليوم بأنه الفترة التى يقتضيها حساب الناس جميعا .. أى أنها
فترة أحداثها تبدأ بالبعث .. وتنتهى بانتهاى محاسبة الخلق . ويقرر
ماشاء الله لهذه الأحداث أن تمتد ، فذلك هو يوم القيامة .. الذى
يحدده بداية ونهاية هو البعث من القبور ونهاية الحساب .. هل

يتم ذلك في ساعة او في مليون سنة .. لا احد يستطيع ان يحدد لان
مشيئة الله سبحانه وتعالى هي التي تحدد ذلك اليوم .

وكما اننا قد عرفنا اننا نغيب عن الزمن ، بحيث يبعث الذين
ماتوا منذ بداية عمر حياة الانسان .. فلا يعرفون كم قضاوا في
البرزخ .. ويقولون انه يوم او بعض يوم .. مع انه قد يمتد
بحسابنا البشرى إلى مئات الألوف من السنين .. وربما ملايين
السنين .. فكل ذلك يوم القيامة لا تحده المقاييس التي نعيش بها ..
ولا قدرات الدنيا .

بعض العلماء يقول : إن الناس في الآخرة سيتعرضون لاهوال ،
ويرون اشياء لم يكونوا يرونها كالملائكة والشياطين .. بل إن الناس
سيرون من كان قبلهم في الدنيا ، ومن أتى إليها بعدهم .. وهؤلاء
وهؤلاء لم يكونوا قد راوهم من قبل .. نقول : إننا لا نريد ان
نتجاوز . لأن يوم القيامة ينتهي فيه إلف الحياة الدنيا .. أى
ما الفناه في الدنيا كالليل والنهار والبحار والجبال والنجوم والشمس
والقمر ، كل هذا سيختفى وسينتهى . ونحن سنخرج من هذه
الارض ، ثم بعد ذلك نحشر في ارض الميعاد .. ولكن ما قضينا معه
عمرنا .. كل هذا سينتهي تماما .. وذلك إذا تنبهنا لعلامات القيامة في
قول الله سبحانه وتعالى :

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فجرتْ ۝
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ
③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ ⑥

(سورة التكوير - الآيات ١ : ٦)

إن فكل الحياة التي الفناها من شمس وبحار وجبال ونجوم
ستختفى وتنتهى تماما .. وكل المقاييس الدنيوية ستزول ..
ولا يمكن لنا أن نستخدم مقياسا دنيويا مما الفناه في مقاييس
الآخرة .

نكون هنا وقد وصلنا إلى توضيح معنى اليوم .. وقد شاعت رحمة
الله سبحانه وتعالى أن يعطينا في القرآن الكريم من المعاني التي تقرب
إلى أذهاننا ما هو غيب عنا ، وذلك رحمة بعقولنا .. وحتى لا تتيه
وتضيع .



وانتهت الأسباب فلا تعمل ..

والله سبحانه وتعالى وصف نفسه في القرآن الكريم بأنه مالك يوم الدين .. ومالك الشيء هو المتصرف فيه وحده .. ليس هناك دخل لاي فرد آخر فيه .. انا املك عبايتي : واملك متاعى ، واملك منزلى .. وانا المتصرف في هذا كله وحدى .. والذى احكم فيه جميعه .. فمالك يوم الدين معناها ان الله سبحانه وتعالى سيصرف امور العباد في ذلك اليوم بدون اسباب اى ان كل شيء سيأتى من الله مباشرة .. بدون ان يستطيع احد ان يتدخل ولو ظاهرا .. ففى الدنيا يعطى الله الملك ظاهرا لبعض الناس .. ويولى بعض الناس ظاهرا امر بعض .. ولكن فى يوم القيامة ليس هناك ظاهر .. فالامر مباشر من الله سبحانه وتعالى .. ولذلك يقول الله فى وصف يوم الدين :

﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١٩)

(سورة الانقطار - الآية ١٩)

وكان الله خلق الاسباب فى الدنيا لتمضى بها الحياة .. ولكن فى الآخرة لا توجد اسباب ، والامر مباشر من الله .
والملك فى ظاهر الدنيا يهبه الله لمن يشاء ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ
تَوَلَّى الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءٍ وَتَزَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءٍ وَتَعَزَّ مِنْ تَشَاءٍ وَنَزَلَ
مِنْ تَشَاءٍ

(سورة آل عمران - الآية ٢٦)

ولعل كلمة « تنزع » التي استخدمها الله سبحانه وتعالى تلفتنا إلى أن أحدا في الدنيا لا يرحب ولا يريد أن يترك الملك .. ولكن الملك يجب أن ينتزع منه انتزاعا .. أى رغما عنه ، ورغما عن إرادته .. والله هو الذى ينزع الملك ممن يشاء .

ولعل بعض الناس يتساءل : هل الملك في الدنيا والآخرة ليس لله ؟ .. نقول .. الأمر في كل وقت لله .. ولكن الله قد استخلف بعض خلقه .. أو مكنهم من ملك في الأرض .. فجعل لهم ملكا ظاهريا .. ومعنى ذلك أنه ملك ظاهر للناس فقط على أنه للبشر .. ولكنه في حقيقته ليس تابعاً من ذات من يملك .. ولكنه تابع من أمر الله .. ولو أنه كان تابعاً من ذاتية من يملك وقدراته لبقى له .. ولم ينتزع منه .. ولكن انتزاع الملك ممن يملك دليل على أنه لا يملكه بذاته وقدراته ، ولكنه مستخلف فيه بأمر الله .. ولهذا حكمة .. فالملك الظاهر يمتحن فيه العباد .. يمتحن فيه من يملك . لأن الله سبحانه وتعالى يحاسبه يوم القيامة على كيف تصرف في ملكه وإداره .. وهل طبق في ذلك منهج الله أم انطلق يفسد في الأرض .. ويمتحن فيه الناس .. هل سكتوا على الحاكم الظالم ؟ .. وهل استكانوا للظلم ؟ .. وهل استحبوا المعصية ؟ أم أنهم وقفوا مع الحق وضد الظلم ؟ .. وهو لا يمتحن هؤلاء لأنه لا يعلم المصلح منهم من المفسد .. ولكنه يمتحنهم ليكون كل منهم شهيدا على نفسه ، حتى لا يأتى واحد منهم يوم القيامة .. ويقول : يارب لو أنك أعطيتنى الملك لا تبعت الطريق السوى ، ولطبقت منهجك .. ولكن حتى لا يجادل إنسان ، ويكون كل شخص شهيدا على نفسه يوم القيامة ، خلق الله الأسباب في الدنيا ، وخلق الملك الظاهري .



علم الله .. وأحداث الدنيا

وبعض الناس يتساءل عما إذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء ، فهل هو محتاج لأن يمتحننا في الدنيا ؟ .. والجواب طبعاً لا .. ولكننا إذا أردنا أن نضرب مثلاً يقرب ذلك إلى الأذهان ، وشه المثل الأعلى ، نقول إن الجامعات في كل أنحاء الدنيا تقيم الامتحانات لطلابها .. فهل أساتذة الجامعة يجهلون ما يعرفه الطالب ، ويريدون أن يحصلوا منه على العلم ؟ .. طبعاً لا.. ولكن ذلك يحدث . حتى إذا رسب الطالب في الامتحان ، وجاء يجادل ، واجهوه بإجاباته فسكت .. ولو أنه لم يعقد مثل هذا الامتحان .. لادعى كل طالب أنه يستحق مرتبة الشرف .. ولولم يجعل الله الملك ظاهراً في الأرض .. ويجعل في ظاهر الأشياء أن هذا يعطى وهذا يمنع .. وهذا يستطيع أن يعطيك المال والخير .. وهذا يستطيع أن يأخذك منك .. لما اندفع ضعاف النفوس من الناس لارضاء البشر على حساب الله .. ولما وجد الاغراء بالمعصية ، واستحق الناس الذين يلتزمون منهج الله دخل الجنة .

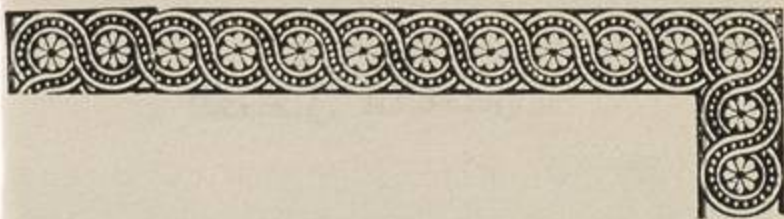
إذن فظاهر الأشياء في الدنيا تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا من أنها امتحان يمر به الإنسان .. ليوصله إلى الجنة ، أو إلى النار .. أما في الآخرة فظاهر الملك يختفى ، والأسباب تختفى ، ولا يملك إنسان لانسان أمراً ولو كان ذلك ظاهراً .

إلى هنا نكون قد تحدثنا عن معنى الزمن ، ومعنى يوم الدين .. والاختلاف بين قوانين الدنيا ، وقوانين البرزخ ، وقوانين الآخرة .. ونبدأ في الحديث عن علامات الآخرة .. أو علامات الساعة التي حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي تحققت .



■ الفصل الخامس ■

علامات الساعة



رسول الله صلى عليه وسلم له نبوءات كثيرة
عن اقتراب الآخرة .. وهذه النبوءات تحقق
معظمها ، واصبح واقعا نعيش فيه بعد ان كان
غيبا عن عاصروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعاشوا معه .. ونحن نصدق هذه
النبوءات جميعا ، ما نتحقق منها وما لم يتحقق ،
لأنه مادام رسول الله قد قال ، وهو الصادق الأمين ، فلا بد انها هي
الحق .

ولقد كشف الله من غيبه لرسوله الكثير .. واطلعه على ما هو قادم ،
ولكن ليس معنى هذا ان يدعى احد انه يعرف الغيب .. ذلك ان تلك
خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .. فهو موحى إليه
من السماء .. وقد اسرى به إلى سدرة المنتهى ، واطلع ورأى وعرف
اشياء لم يطلع عليها غيره .

وإذا كنا نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فإنه رسول
آخر الزمان .. ومعنى ذلك انه الرسول الخاتم الذي لن يأتي رسول
بعده حتى يوم القيامة .. ومعنى ذلك أيضا ان رسالته تستمر في
الأرض إلى آخر يوم من أيام الزمن .. والزمن - كما قلنا - مقياس
أرضي ينتهي بانتهاء الدنيا .

وهناك نبوءات لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحداث قريبة
وقعت بعد وفاته .. فقد تنبأ بانتشار الدولة الإسلامية شرقا

وغربا .. وقامت الدولة الاسلامية في مشارق الارض ومغربها .. ولم تمتد شمالا إلى أوروبا ولا جنوبا .. وتنبأ بواقعة الجمل ، كما تنبأ بمقتل الحسين وغير ذلك .. ولكننا لن نتعرض للنبوءات القريبة التي تحققت .. وإنما سنتعرض للنبوءات التي تحققت في هذا الزمان .. او على وجه الدقة لبعض هذه النبوءات ، لأن المجال لا يتسع لها كلها .

عندما ترى هوى متبعا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا رايت هوى متبعا ، وشحا مطاعا ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فانتظر الساعة) .

هنا في هذا الحديث ثلاثة اشياء : اولها الهوى المتبع .. ما معنى الهوى المتبع ؟ .. لقد انزل الله سبحانه وتعالى للناس منهجا يحكم حركة حياتهم .. ومنهج الله هو الذى ينبغي ان يسود إذا ارادت البشرية ان تحصل على الحياة الامنة المنسجمة في الأرض .. ولقد طبق المسلمون الاوائل منهج الله .. فسادت الحضارة الاسلامية العالم اكثر من الف سنة .. وقلدت الحضارة والعلم ، وكان الرقى والتقدم والازدهار للمسلمين وحدهم المتبعين لمنهج الله .

ثم بدا المسلمون يبتعدون عن المنهج وعن تطبيقه .. لأن الدنيا اجتذبتهم .. واصبح لكل واحد منهم هوى في الدنيا .. رغبة تناقض منهج الله وتنقضه ، ولكنه يفعلها ليرضى أهواء نفسه .. ويحقق منافع ذاتية لذاته .. فكل واحد في الدنيا يريد المال .. والله سبحانه وتعالى قد وضع منهجا للمال .. بأن ما يأتى منه عن طريق حركة الحياة يكون هو الحلال .. أى ما يأتى منه بالعمل ، سواء أكلن ذلك عملا مباشرا ، أم عن طريق المشاركة . ولكن الناس تريد المال

بلا عمل .. وهذا مناقض لمنهج الله .. ولكي يحقق الناس هذا النفع الذاتى نقضوا منهج الله .. وأصبح الواحد منهم يتقنن فى الحصول على المال الحرام .. إما بالسرقة ، أو بالنصب ، أو بالتحايل ، أو بفعل ما يغضب الله .. هذا نوع من الهوى المتبع .

نوع آخر .. الانسان يريد أن يعتدى على حرمان غيره ليحقق لذاته متعة وقتية .. والله يحرم ذلك .. ومنهج الله لا يقره .. وهنا يدخل الهوى المتبع .. فبدلا من أن يطبق الناس منهج الله ، ويغضوا ابصارهم انطلقوا وراء شهواتهم ، ونقضوا منهج الله لحركة الحياة .

إن لم يصبح منهج الله هو الذى يحكم .. ويرجع الناس إليه فى افعال ولا تفعل .. بل أصبح ما يريد أن يحققه كل إنسان لذاته هو الذى يحكم .. وفى هذه الحالة ينسى الناس التكليف ، ويبتعدون عنه ، ويجعلونه وراء ظهورهم .. ولم يعد يسيطر على حركة الحياة فى الدنيا إلا هوى النفس .. وأصبح أى إنسان يستطيع أى شئ ، وأى عمل فى حركة الحياة ليحقق لنفسه مالا أو نفعا .. ومادام هوى النفس هو الذى يحكم الحياة ، وليس منهج الله .. تصبح حركة الحياة متعاندة .. وصراع الحياة مريرا .. هذا يريد ، وهذا يريد ، ولا تتفق النفوس أبدا .. ويشقى الانسان فى الأرض . لأن حركة الحياة لا تستقيم إلا إذا كان هناك أمر تصونه ويصونك .. ونجتمع عليه جميعا .

إن يكون الخلاف هو السائد .. ونكون قد نقضنا منهج الايمان .. لأنه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ، .. فإن اخضعنا أهواءنا لمنهج واحد تكون حركة الحياة قد استقرت .. وإذا اصطدمت أهواء الناس فى الحياة .. تفسد الحياة الدنيا .. لأننا فى هذه الحالة نخضع الحق

للهوى .. أى يكون الحق فى يدنا لعبة نشكلها كما نشاء ، بحيث تحقق لنا ما نريد .. وينطبق علينا قول الله سبحانه وتعالى :

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ هُم لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

(سورة المؤمنون - الآية ٧١)

لماذا ؟ لأن هوى كل واحد منا مخالف لهوى الآخر .. ولكن الحق واحد لا يتغير .. ومن هنا فهذا يريد .. وهذا يغير .. وهذا يغير .. وما جاء الدين إلا لعصمة حركة الحياة من أهواء الناس .. حتى يكون هناك حق واحد ، فنتجه جميعا إلى عمل لا يتعارض .. ولكن يتعاقد .. أى يكمل بعضه بعضا .. ويتساند ، أى يقف بعضه مع بعض حتى تستقيم الدنيا .

فإذا رايت هوى متبعا .. فاعلم أن منهج الله لا يحكم حياة الانسان فى الكون ، وعندئذ انتظر الساعة .

ما هو ..

الشح المطاع ؟

الأمر الثانى حين ترى شحا مطاعا .. والشح هو البخل .. ومعنى ذلك بخل النفس عن أن تعطى .. وفى هذه الحالة تحدث النفس صاحبها أنه لو أنفق لذهب ماله .. وأغواء الشيطان فى هذه الحالة يكون هو الغالب والحاكم على سلوك الانسان ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

أَفْقَرًا وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفُسْخَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا

(سورة البقرة - الآية ٢٦٨)

يبخل الناس بما لهم فلا ينفقونه في سبيل الله ، ولا يعطونه للفقير
 والمحتاج .. ولا ينفقونه فيما ينفع الناس .. وحينئذ يخل المقياس
 الاقتصادي .. ويصبح هناك غنى فاحش ، وفقر مدقع .
 ولا بد أن نتنبه إلى أن شح الحياة ليس معناه الشح المالى فقط ..
 ولكن معناه العلم .. شح أو بخل كل ذى قدرة بقدرته وجهده ..
 فتجد العامل يستطيع أن يعمل ، ولكنه لا يعمل .. والموظف
 يستطيع أن ينتج ، ولكنه لا ينتج .. وكل عمل فيه جهد يبخل
 العاملون فيه بجهدهم .. فهناك بخل من ذى القدرة بجهدده .. وبخل
 من ذى العلم بعلمه .. أى أن العامل أو المعلم أو الأستاذ قد يملك
 العلم الكثير والغزير .. ولكنه يبخل أن ينقل هذا العلم إلى طلبته ..
 أو إلى من يدرسون العلم على يديه .. بل لا يعطيهم من علمه إلا قبرا
 بسيطا جدا .. وشح ذى الجاه بجاهه .. أى أن الإنسان يكون في
 مجتمعه مسموع الكلمة ، مطاع الأمر .. ولكنه يرفض أن يستخدم
 ملوحيه الله له من هذا الجاه في مساعدة المحتاجين .. أو في إنصاف
 المظلومين .. أو في تمكين الضعفاء من حقوقهم .. فيأتى إليه
 المحتاج ، وهو يستطيع أن يقضى له حاجته بكلمة واحدة .. ولكنه
 لا يفعل .. بل يتركه بدون أن يقضى له حاجته .. ويأتى إليه
 المظلوم .. ويعرف نواجاه أن هذا المظلوم قد وقع عليه ظلم .. وهو
 يستطيع بكلمة واحدة أن يزيل هذا الظلم ، ولكنه لا يفعل .. وبخل
 المظلوم يرجو ، ونواجاه أو السلطان لا يفعل شيئا .. ويأتى
 الضعيف إلى صاحب الجاه يطلب منه أن يمكنه من حقه ، ويستطيع
 صاح الجاه أن يفعل .. وربما بتوقيع صغير منه يستطيع أن يعيد
 لهذا الضعيف حقه ، ولكنه لا يفعل .

وهكذا في كل أوجه الحياة تجد شحا مطاعا .. فكل إنسان يبخل
 بجهدده على غيره ، حتى ولو كان هذا الجهد لا يكلفه شيئا .. وأقل
 الشح هو شح المال .. وأكثر الشح ضررا هو شح النفس في أن

كل إنسان لا يعطى للمجتمع الذى يعيش فيه ما عنده .
 وبذلك يتدهور المجتمع ، وتزداد مشاكل الناس تعقيدا ..
 ولا توجد لها الحلول .. فمادام الشح المطاع هو الذى يحكم ..
 فالمجتمع كله ينحدر بسرعة إلى هاوية عميقة .. حتى لو وجدت اقلية
 تعطى ما عندها من مال وعلم وجاه الى آخره .. فإن الاكثرية التى
 لا تعطى تفسد جهود الاقلية التى تعطى ، وتجعلها جهودا غير
 مؤثرة .

حديث القران عن الشح

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا في القران الكريم مسألة
 الشح في ثلاث آيات .. في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ أُمَّةً خَافَ مِنْ بَعْضِنَا شُرَكَاءَ
 أَوْ أَعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِّيا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
 الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنُونَ اتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٢٨)

(سورة النساء - الآية ١٢٨)



وقال تعالى :

﴿٨﴾ وَالَّذِينَ يَبُوءُ^{بِ}وَالدَّارِ

وَالْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة الحشر - الآية ٩)

وقال تعالى :

﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا

اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة التغابن - الآية ١٦)

وهكذا نرى في الآيات الثلاث ان الشح لا ينطبق على المال فقط .. ولكنه ينطبق على كل نشاطات الحياة .. ففي الآية الاولى ينطبق على المعاملة مع الزوجة ، وعلاقة الزوج بها .. والله سبحانه وتعالى يطالبنا في علاقاتنا بالسماح وليس بالتشدد .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى » .

والآية الثانية في سورة الحشر يبين الله سبحانه وتعالى فيها السماحة التي لا بد ان تقوم في المجتمع الاسلامي .. تلك السماحة

التي تقيم المجتمع على أساس المحبة .. وقد نزلت هذه الآية في الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .. وتركوا أزواجهم وأولادهم ، وكال ما يملكون في مكة .. انظر إلى السماح في هذا الظرف غير العادي ، أو هذا الظرف القهري .. مجموعة تملك كل شيء .. ومجموعة ليس لديها شيء ، حتى الزوجات أو النساء .. والرجل قد يفرط في كل شيء . وقد يعطى من كل شيء : من ماله وعلمه وجهده .. ولكن لو وصلت المسألة إلى الزوجة ، أو الزوجات ، فإنها في هذه الحالة تكون شديدة جدا على النفس .. ولكن الأنصار كان الواحد منهم يأتي بأحد المهاجرين ، ويقول له : هذا مالى فخذ نصفه . وهذه دارى نقتسمها معا .. وهؤلاء زوجاتى انظر اليهن .. أحبهن إلى نفسك أطلقها وتزوجها .

وهكذا وصل العطاء في هذا الظرف غير العادي إلى حدود غير عادية .. ولكن ذلك تم حتى لا يكون المجتمع الإسلامى بادئا بمجتمع فيه فقر مدقع ، وغنى فاحش .. وفيه رجال متزوجون ورجال بلا زوجات ، فقد تشيع الفاحشة .. وألا يقوم هذا المجتمع على الحقد ، لأن من لا يملك سيحقد على من يملك .

والآية الثالثة في الإيمان والتقوى .. وذلك حتى يعطى الانسان الطاقة التي يستطيعها للإيمان والعبادة ، ولا يكون شحيحا في صلاته .. يقول : ساصلى الفرض وحده ، ولن أصلى السنة .. أو شحيحا في زكاته وصدقته .. فيقول ، وهو يملك الكثير ، لن أخرج من زكاة المال إلا ما هو مفروض بدون أن أزيد عليه قرشا واحدا .. وكذلك في كل متطلبات الإيمان من الله سبحانه وتعالى .. يعد الله بالأجر العظيم من يزيدون فيها ولا يبخلون .. بشرط أن تكون الزيادة من جنس ما فرض من العبادة .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ أن الله سيسأل الناس يوم القيامة عما فعلوه بالمال الذى وهبهم إياه ..

وبالعلم الذى أعطاه لهم .. وبالجاه والسلطان الذى جعلهم
 مستخلفين فيه .. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن
 تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فيما
 أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من
 أين اكتسبه ، وفيما أنفقه) .

على أننا لابد أن نتساءل : لماذا يكون الشح المطاع نقضا لمنهج الله
 فى الأرض ؟ . لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل للبشرية حضارة
 وتقدما .. وهذه الحضارة والتقدم لا يتمن إلا إذا أعطى كل جيل كل
 ما عنده للجيل الذى بعده .. وحينئذ يبدأ الجيل الجديد من النقطة
 التى انتهى إليها الجيل الذى قبله .. ثم يضيف إليه .. وعدم عطاء
 أى جيل كل تقدم فى الحياة للجيل الذى بعده سيوقف تقدم الحضارة
 والعلم .. ويؤثر على تقدم البشرية كلها .. والله قد وضع منهاجا
 يحقق تقدم الانسان فى الحياة ورفيها .. وشح النفس يمنع تطبيق
 هذا المنهج وينقضه .



إعجاب صاحب الرأي برأيه ..

والامر الثالث إعجاب كل ذى رأى برأيه .. ما هو الرأى ؟ ..
الرأى هو الذى يمثل هوى النفس الداخلى .. اى ما تخفيه فى نفسك
من أهواء واطماع ولا تعلنه للناس .. ولكنك تعمل على تحقيقه بإراء
تبديها .. تحاول ان تضع فى ظاهرها المصلحة العامة .. بينما هى فى
الحقيقة محاولة لتحقيق ما تخفيه من اغراض .. حينئذ تختلف
الأراء فى الشئ الواحد .. فيصبح لهذا رأى ولهذا رأى .. ولهذا
رأى .. وكل الأراء التى تسمعها هى آراء بعيدة عن الحق
والحقيقة .. وكل إنسان متمسك برأيه يحاول ان يدافع عنه دفاعا
مستميता .. وفى هذه الحالة عندما تختلف الأراء لا تعرف أين الحق .
ولا يلتفت كل هؤلاء الذين يدلون بآرائهم الى رأى المشرع ،
ولا رأى منهج الله .. بل يصبح كل تشريع يطبق على أساس المطلاع
التى يخفيها كل إنسان فى صدره .. والتشريع الواحد يطبق مئات
التطبيقات المتعارضة المتناقضة .. وكل من يطبق متمسك برأيه ..
معتز به .

حينئذ تتعاند حركة الحياة وتصطدم .. ويصبح الناس فى فوضى
لا يعرفون ماذا يفعلون .. الشئ محدد .. ولكن الاغراض التى
يخفيها الناس فى صدورهم ، ويحاولون تحقيقها عن طريقه ،
متناقضة ومتباعدة .. بحيث تجعل حركة الحياة نفسها لا تستقيم
ولا تعتل .

وإذا نظرنا إلى ما يحدث الآن .. نجد أننا فى بعض الأحيان نرى
اناسا يعرفون ان الرأى الذى يقال هو الحق .. ومع ذلك فانهم من
اعجابهم برأيهم ينقضون هذا الحق برأى باطل .. ومع أنهم يعرفون
ان هذا الرأى الذى يقولونه باطل ، إلا أنهم يتمسكون به ،

ويدافعون عنه زهوا واعجابا .. بأن الراى الذى سيؤخذ به هو راىهم هم ، مهما يكن راىهم مخالفا للحقيقة ، ومتصادما مع الحق . بل انهم يفاخرون بعد أن تنتهى الجلسة وتنفض .. بأنهم قد استطاعوا أن يفرضوا راىهم بالباطل على غيرهم .. ويقولون زهوا : لقد اخذ الجميع براينا .. وقد يقضى موظف كبير برأى ما . فإذا جاء من هو أقل منه فى المنصب ، وأبدى رأيا مخالفا يتفق مع الحق .. فإن هذا الموظف الكبير يرفض الرجوع عن رايه مع انه باطل ، ويصر عليه وعلى تنفيذه .

وهكذا يضيع الحق فى الدنيا بين إعجاب كل ذى رأى برأيه .. ويصبح ما يتخذ من قرارات او قوانين لا يمثل الحق .. ولكنه متخذ من آراء تتمسك بالباطل ، وتعترز بالاثم .. فلا يحكم الحق الدنيا .. والله سبحانه وتعالى .. يريد أن يكون الحق هو الحاكم .

عندما تلد

الأمه ربتها

ومن علامات الساعة التى انبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها هى (أن تلد الأمة ربتها) .. ولقد فسر هذا الحديث تفسيرات كثيرة . فقالوا : إن معناه أن يتعلم اولاد الفقراء ، ويصبحوا من ذوى المناصب الهامة ، فتنكر الابنة لامها .. وتجد انه من العار أن تعترف انها ابنة هذه الأم فتجعلها خادمة عندها .. وقيل إن المقصود به أن الابنة إذا تزوجت رجلا غنيا أصبحت امها خادمة عندها . ولكننى اعتقد أن هناك تفسيراً آخر لهذا الحديث .. فمعنى أن تلد الأمة ربتها هى أن تصبح الابنة هى الأمه الحاكمه فى البيت .. تفرض رايها على امها وابيها ، ولا يجروان إلا أن يطيعاها .. والمفروض فى الابنة بالذات أن تكون طيعة لوالديها ، وأن

تفعل ما يأمرك به .. ولكن الأمر ينقلب . فبدلاً من أن تكون الأم هي سيدة البيت .. ورايها هو الذى ينفذ ويطاع .. تصبح الابنة هي سيدة البيت .. وأمرها هو النافذ .. والأم والأب عاجزان عن أن يفعلوا شيئاً .

بل إن الأمر قد يصل إلى نوع من التحدى .. تفرض فيه الابنة إرادتها حتى فيما يغضب الله ، وتتحدى بذلك أمها وأباها .. ونحن نرى أن هذا قد أصبح سمة من سمات الحياة الآن .. فالابنة هي ربة الأم .. والأم لا تملك إلا أن تطيع ولو مكرهة .. وهذا فى رأى معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من علامات الساعة (أن تلد الأمة ربتها) .. أى أن الابنة أصبحت لها ولاية والأم من رعبتها .

يتناول الحفاة العراة

ومن علامات الساعة ، كما أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يتناول الحفاة العراة فى البنين .. أى أنه يأتى زمن يكون المال فى يد بعض الناس الذين تراهم فتعتقد أن أحدهم فقير لا يملك شيئاً من صورته وهندامه .. ولكنك تفاجأ بأنه يملك المال الكثير .. وعادة مثل هؤلاء الناس عندما يأتهم المال من كل مكان .. فإن عقلهم لا ينصرف إلا لبناء العمارات وتملكها .. هم يقومون أنفسهم بما يملكون من عقارات ، لأنهم عادة لا تكون لهم ثقافة ولا علم يصنع لهم مكانة فى المجتمع .. فلا يستطيعون بعلمهم أو ثقافتهم أن يحصلوا على احترام الناس .. ولا بنسبهم وعائلاتهم .. ولا يكون أمامهم أن يحصلوا على منزلة فى المجتمع إلا بالبنين أو العمارات التى يمتلكونها ويفخرون بها .. وتكون هى سندهم الوحيد فى محاولة أن يصلوا إلى طموحاتهم فى الدنيا .

على ان هناك معنى آخر لابد ان نلتفت إليه .. ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد خلق البدو والحضر .. او المدينة والريف .. لحكمة في الحياة .. والله يريد حضرا فيه كل المقومات الحضرية ، او مقومات المدينة من بنين عال ، وحركة حياة مزدهمة ، إلى آخر صفات الحضارة او المدنية التي نعرفها .. وفي نفس الوقت يريد بادية او ريفاً له كل مقومات البادية او الريف .. والحضارة البدوية او الريفية لها دور هام في الراحة النفسية .. فنجد ان اى إنسان يعيش في المدينة لا يستريح إلا إذا ذهب بعض الوقت إلى مكان خلوى او مزارع ليقضى بها جزءاً من وقته بعيداً عن حضارة المدينة وزحامها وضجيجها .. فالنفس البشرية لا ترتاح إلا في المكان الذى فيه فطرة الحياة بدون حضارة البشر .

والله سبحانه وتعالى يريد حياة متكاملة متساوية .. ذلك ان ملكات الانسان متساوية ، لا تطغى فيها ملكة على ملكة .. وهو لا يستطيع ان يستغنى في حياته عن تلك الامكن التي فيها فطرة الله وحدها . يأتى زمن يتحول فيه الاجراء في البادية او الريف إلى ملاك للمال .. ويصبح المال في ايديهم كثيراً .. وكانوا من قبل معدمين .. حينئذ لا تكون طموحاتهم في ان يزيدوا الريف او البادية جمالا فطريا .. بل إنهم يفسدونه بكثرة البنين حتى اصبح الريف كالحضر من كثرة البنين فيه .. ويتم هذا عشوائيا وبدون تخطيط يساعد على إبقاء جمال الريف او البادية ، الذى وهبه الله لها .. بل يتم كل ذلك بصورة دميمة .. تجعل هذه الامكن بعد ان كانت لراحة النفس البشرية مصدر تعب لها .. ولا يجد الانسان مكانا يذهب إليه ليستريح فيه .

حينئذ نجد ان الذين كانوا من فقراء اهل الريف او البادية ويعملون فيها ، يتركون عملهم .. لانهم تعالوا في البنين ..

وتصبح الأرض لا تجد من يزرعها .. ويزيد هذا من قبح الريف
أو البلدية ، لأنها تصبح مهجورة .. وبذلك تختل ملكات الانسان ،
لأنه لا يجد مكانا يستريح فيه ، وهذه العملية تتم بالتدريج وعلى مر
الزمن .

ومن علامات القيامة أيضا التي أتينا بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم (النساء الكاسيات العاريات) .. وهذا ما نراه حولنا الآن ..
فعدد من النساء يظهرن من أجسادهن أكثر مما يسترن منها .. والله
سبحانه وتعالى أمرهن بأن يسترن أجسادهن وحمد ما يكشف بالوجه
والكفين .. وهذا يرجع إلى أن الناس يبتعدون عن دينهم .. ولم يعد
الدين حاكما لحركة الحياة ، ولا تصرفات البشر ، كما كان يجب أن
يكون .

إعطاء الشيء

لغير أهله

ومن علامات الساعة (أن يعطى الشيء لغير أهله) .. وهذا
الحديث له معنيان :

المعنى الأول : أن العقل البشرى يستنفد تجربته ، ويستنفد
فكره ، ويستنفد طموحاته كلها في اكتشاف أسرار الله في كونه .. حتى
يظن الانسان أنه بالعلم الذي وصل إليه ، وبالامكانيات ،
أو التكنولوجيا التي يقولون عنها قادر على أن يتصرف في الحياة
وفق ما يريد .. وأن يخضع أحداثها لإرادته .

وملأم الانسان قد ظن أنه قادر على الحياة في الأرض .. وعلى أن
يفعل ما يشاء بذاته .. فإنه ينسى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى
وضع له هذه الامكانيات في الأرض ، واستخلفه فيها .. وجعلها
خاضعة لإرادته . ينسى الانسان قدرة الله .. ولا يعتقد إلا في
قدراته .. وإذا نسى الانسان قدرة الله فقد ترك منهجه ..

وبدا يتصرف في الكون وفقا لارادته ، او ما تشتهيهِ نفسه ، فتخلل الموازين .. ويستعبد القوى الضعيف ، ويصبح المال الحرام حلالا .. ومادام الحق قد ضاع من الارض ، والانسان اعتقد انه قد سيطر عليها ، بحيث يستطيع ان يفعل ما يريد .. فإن الله سبحانه وتعالى ، وهو يرى البشرية قد وصلت إلى هذه الحالة ، ياتى يوم القيامة ليعيد الميزان الحق يحكم بين البشر .
وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

﴿ ١٢٣ ﴾ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ لَأَرْضٍ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَاء أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**

(سورة يونس - الآية ٢٤)

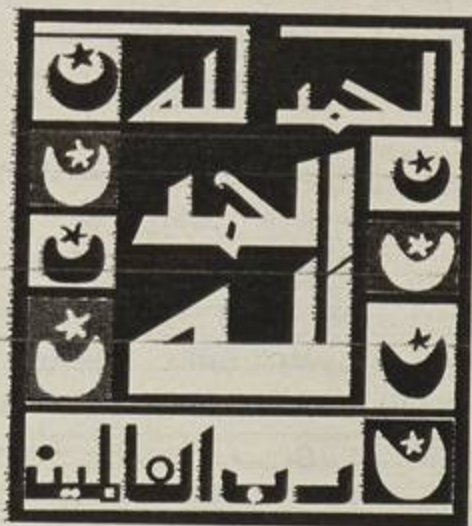
إذن إذا اخذنا هذا الحديث بالمعنى الواسع .. فإنه من علامات القيامة ان يعطى الشيء لغير اهله .. اى أننا بدلا من ان نعطى في الدنيا الأمر لله سبحانه وتعالى .. لأنه هو الأمر والخالق والناهى .. نأتى لغير اهل هذا الأمر .. والذين لا يستطيعون فننسبه إليهم دون ما حقيقة .. وهكذا ينسب الانسان بغروره التقدم العلمى الذى يحققه لنفسه ، وهو غير اهل لهذا .. فهو لا يستطيع حقيقة .. ان يخضع قانونا واحدا من قوانين هذا الكون لارادته .. ولكن هذه

القوانين كلها تخضع لإرادة الله وحده .. ومع ذلك فهو يظن ..
ولتلفت إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وظن أهلها﴾ .. أي
اعتقدوا باطلا على غير الحقيقة أنهم قادرون عليها .. والظن نوع من
التخمين الذي لا يستند إلى أي حقيقة علمية ولا يعتد به .
ولكن أهل الأرض قد أخذوا هذا الظن وحولوه إلى يقين .. وقالوا :
لقد استطعنا بالعلم والتكنولوجيا أن نخضع الأرض ونجعلها
خاضعة لمشيئتنا .. حينئذ يأتي أمر الله ليدمر كل شيء .. فيعرف
الناس يقينا أن الأرض لا تخضع لمشيئتهم .. لأنها لو كانت تخضع
لهذه المشيئة ، لاستطاعوا حمايتها من التدمير بالقوانين التي ظنوا
أنهم اكتشفوها .

نأتي بعد ذلك إلى الشق الثاني من نبوءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. ومعناه أنه سيكون هناك حكام وولاة يحاولون بالإبقاء على
حكمهم وولايتهم إلا يختاروا الناس حسب كفاءتهم أو علمهم
أو خيبرتهم .. ولكنهم يختارونهم من الذين يطيعونهم في الحق
والباطل ، وتلك قضية يعبر عنها في العصر الحديث بأهل الثقة وأهل
الخبرة .

يأتي هؤلاء الحكام أو الولاة ، وهم يعرفون من يصلح لهذا
العمل ، فيبعدونه عنه ، ويضعون أنسنا لا يفقه شيئا في هذا
المجال ، لأنه يطيعهم حتى ولو كانوا على باطل .
وبهذا تنتفي الخبرة السليمة في إدارة العمل .. ويصبح الذين
يعلمون لا يفعلون شيئا .. والذين لا يعلمون هم الذين يديرون
حركة الحياة في الكون كله .. ومدامات المسألة أهل ثقة وأهل خبرة ..
تكون كل الأمور قد خضعت للهوى .. لأن أهل الثقة هم الذين
ينفذون هوى النفس بالنسبة للوالم أو الحاكم بدون أي اعتبار
آخر .. وهنا تكون حركة إشراف الناس على الحياة قد اختلت ..
ومدامات حركة إشراف الناس على الحياة مختلفة .. تصبح حركة
الحياة كلها مختلفة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى ذلك في الحديث الشريف حين يقول : (من وثق أمر المسلمين شيئا ، فوثق رجلا ، وهو يجد من هو أصلح منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين) .. وذلك لأن مثل هذا العمل سيفسد نظام الكون كله . على أن هناك نبوءات أخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة تبين لنا بوضوح أكثر .. كيف ستختل حركة الحياة عندما تقترب الساعة .. وهذا هو موضوع الفصل القادم .



■ الفصل السادس ■

إنقلاب في الموازين

إذا أردنا أن نكمل الحديث عن علامات يوم
القيامة التي أنبأنا عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. فإننا نحتاج إلى مجلدات ومجلدات ، ذلك
أن العلامات التي أنبأنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم علامات كثيرة .. منها علامات
تحققت .. وعلامات كبرى لم تتحقق بعد كظهور
المسيح الدجال ، والمهدى المنتظر ، وغير ذلك مما لم يتحقق بعد ..
ولكننا لن نتعرض إلى ما لم يتحقق .. مكتفين ببعض ما تحقق فعلا ..
وإذا كان بعض الناس يشكون ، أو لا يصدقون في أن العلامات
الكبرى للقيامة ستتحقق ، فإننا نقول لهم : إن صدق ما تحقق الآن
دليل على صدق ما هو قادم .. ونحن نصدقه لأنه روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين .

على أننا قبل أن نتحدث عن بعض علامات الساعة التي أنبأنا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإننا نقول إن هذه العلامات كلها
هي تفسير للآيات الكريمة .

﴿٤١﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا أَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(سورة الروم - الآية ٤١)

وقوله تعالى :

﴿ وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا
هذا القرآن مهجوراً ﴾

(سورة الفرقان - الآية ٣٠)

أى أن ظهور الفساد فى الدنيا هو بما كسبت أيدى الناس .. أى أن
منهج الله لا يتضمن الافساد فى الأرض .. بل إن منهج الحياة يضع
اسس الاصلاح فى الأرض ، والصلاح فى الكون .. ولكن الناس بعدوا
عن منهج الله ، فظهر الفساد .. ومع ظهور الفساد سيعانى الناس ،
لتصبح حياتهم أكثر تعقيدا ، وأكثر عناء ، وأكثر معاناة .. وذلك
جزء من الله ليذيقهم بعض ما عملوا .
ونلاحظ هنا أن رحمة الله قد سبقت عدله .. فلم يقل سبحانه
وتعالى يذيقهم ما عملوا .. ولكنه قال ..

﴿ ليذيقهم بعض الذى عملوا ﴾

(سورة الروم - الآية ٤١)

أى أن الله سينيق الناس فى الدنيا نتائج جزء يسير جدا من
أعمالهم ، ويؤجل الجزاء الأوفى للأخرة ، مصداقا لقوله تعالى :

وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ

(سورة فاطر - الآية ٤٥)

أى ما ترك على ظهر الأرض أى حتى يندب بقدميه عليها .
وقول الله سبحانه وتعالى :

اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا

(سورة الفرقان - الآية ٣٠)

معناه انهم هجروا منهج الله .. لأن القرآن هو منهج السماء إلى الأرض وهجروا هذا القرآن .. أى تركوا العمل بأحكامه .. وكما بينا هو أن يوم القيامة يأتى عندما يهجر الناس المنهج . ويظنون انهم بقدراتهم يحكمون الأرض ، ويسيطرون عليها .. على اننا قبل ان نمضى لابد ان نقول إن علامات الساعة متى تحققت لا تختفى .. وانها تزيد ولا تنقص .. ذلك فإن ما تحقق منها حتى الان سيزداد مع مرور الزمن ..

أماوا الصلاة ..

وأضاعوا الأمانة

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، واضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستحلوا بالبناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، .. هذه بعض علامات الساعة التى رواها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

مامعنى أماتوا الصلاة .. الميت هو الغائب عن الدنيا .. ذلك ان اساس الدين كله هو منهج للحياة الدنيا .. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى

الْكَافِرِينَ

(سورة يس - الايتان ٦٩ و ٧٠)

إن القرآن الكريم نزل للأحياء .. وهو منهج السماء للحياة الدنيا .. ونحن حين نموت نرى كل شيء رؤية يقين .. ولا تعود هناك فائدة من إنذار بالغيب ، أو ما سيقع لنا .. لأنه أصبح واقعا فعلا وراينا ..

وإذا كان القرآن كمنهج السماء إلى الأرض .. فإننا يجب أن نعمل به ونطبق تعاليمه في حياتنا الدنيا .. وأهم تعاليم المنهج وأساس العبادة هي الصلاة .. لأنها الصلة بين العبد وربيه .. وكل أحكام الدين ترفع ماعدا الصلاة .. فالحج لمن استطاع إليه سبيلا .. فمن لم يستطع ، لأنه كان فقيرا ، لا يملك ما يحج به لا يكلف بالحج .. والزكاة لمن عنده فائض من المال .. فإذا كان رزق الإنسان يكاد يكفيه بالكاد ، فلا يكلف بالزكاة .. وإذا كان فقيرا لا يجد قوته ، فهو مستحق للزكاة ، وليس مكلفا بها .. والصوم لمن كان في تمام صحته ، ولم يكن مسافرا .. فمن كان مريضا أو على سفر ، فيستطيع أن يفطر في رمضان .. ويقضى الأيام التي افطرها في غير رمضان .. إلا الصلاة فهي لا تسقط بالمرض ، ولا تسقط بالسفر .. ولا تسقط بالفقر .. والإنسان لا بد أن يصلى واقفا .. فإن كان مريضا يصلى قاعدا .. وإن كان لا يستطيع أن يغسل الفراش بسبب المرض ، يستطيع أن يصلى راقدا .. والصلاة تظل قائمة عند المؤمن من سن التكليف حتى الوفاة ..

والصلاة إذن هي أساس حياة المؤمن لا يتركها أبدا . فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (املتوا الصلاة) .. أى غابت عن حياتهم الدنيا ، فلم تصبح موجودة .. والميت لا يسمع ولا يعي حركة الدنيا .. وكأنه من علامات الآخرة ، أن يؤذن للصلاة ، فلا يقوم أحد إلى المساجد ، ليؤدى الصلاة ..

أى أنه عندما يؤذن المؤذن للصلاة ، كأنه ينادى على ميت ، فلا يجيبه أحد .

وقوله صلى الله عليه وسلم (واضاعوا الصلاة) يؤخذ بمعناها
الواسع ، ومعناه المحدود .. فالأمانة هي منهج الله التي حملها
للإنسان في الأرض وحمله الاختيار في أن يفعل أو لا يفعل .. وكان
إضاعة الأمانة معناها أنهم اضاعوا منهج الله في الأرض .. هذا هو
المعنى الواسع .. أما المعنى المحدود فهو أن الأمانة بين الناس
ضاعت .. أو كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما تصبح
الأمانة مغنما ، .. أى انه يأتى الإنسان إلى أخيه الإنسان يحمله
أمانة بان يحافظ على ماله ، أو على عرضه ، أو على أولاده ، فيعتبر
هذ الشخص هذه الأمانة غنيمة له ولا يردها ، يأخذها وهو يعد
بردها ، ولكنه بمجرد أخذها يعتبرها غنيمة لا ترد .. فإذا كانت
الأمانة مالا ينكره ولا يريد .. وإذا كانت الأمانة على العرض
أو الزوجة يحاول هو أن يغرى هذه الزوجة بالفاحشة ، ويدفعها إلى
خيانة زوجها ويعتبرها غنيمة له ، ليستحل ما حرمه الله .. وإذا
كانت هذه الأمانة في الأولاد .. أخذ هؤلاء الأولاد ، وكلفهم بخدمته في
منزله .. وربما منع عنهم الطعام والشراب . وربما ضربهم إذا لم
يخدموا ويفعلوا ما يريده .. وهكذا نرى أن إضاعة الأمانة بمعناها
الواسع ، ومعناها المحدود ، تزداد في المجتمعات ..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأكلوا الربا) ونحن
نرى أن العالم كله يأكل الربا .. وأن كل إنسان يستحل ويحب أن
ينمو ماله بلا حركة في الحياة ولا عمل ، وهذا ما حرمه الاسلام ..
والربا هو أسس الكوارث الاقتصادية ، واضطراب اقتصاد العالم
الآن .. حتى إن دولا أعلنت إفلاسها بسبب عجزها عن سداد فوائد
الديون ، أو بسبب تعاملها بالربا ، وهو ما حرمه الله .. ولن ينصلح
اقتصاد العالم إلا إذا عاد إلى منهج الله .. وانتهى نظام الربا كنظام
عالمى ، ليحل محله نظام المشاركة الاسلامية ، والنظام الاسلامية
التي وضعها الاسلام ..

واستحلوا الكذب

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستحلوا الكذب »
فمعنى ذلك أن الكذب أصبح حلالا يتعامل به كل الناس ، بدلا من
الصدق .. ومن كثرة الكذب يصبح هو السمة الغالبة في المجتمع ..
ويصبح الإنسان يسمع الكلام فلا يصدقه ، ولو كان صدقا .. لأن
الثقة قد انتهت ..

والكذب هو انفصال الكلام عن الفعل .. وما دام الكلام يفصل
عن الفعل في حياة الإنسان ، ويراه في كل شيء حوله ، فإن ذلك يهدم
الثقة في المجتمع .. ويعطى الناس الشعور بأن كل ما يقال هو زيف ،
وليس حقيقة .. وفي هذه الحالة يفصل واقع الحياة عن أولئك الذين
يعيشون فيها .. فيصبح واقع الحياة شيئا .. وما يتكلم به الناس
شيئا آخر .. والإنسان لا يكتب إلا إذا كان يريد أن يخفي خطيئة
أو عملا شائنا .. ذلك أن العمل الذي أحله الله يتباهى به الناس
جميعا .. فإذا كنت مثلا مع زوجتك في البيت وسالك أحد ابن
كنت ؟ .. قلت بلا تردد ، ويدون أن تحاول أن تكذب : كنت مع
زوجتي في البيت .. أما إذا كنت في البيت مع زوجة رجل آخر ..
وسالك أحد أصدقائك : أين كنت ؟ .. فإنك في هذه الحالة تلجأ إلى
الكذب ، لتخفي مخالفة لمنهج الله لا تتسجم مع حياة النفس البشرية
وملكتها .. وأنت حين تملك مالا حلالا ، فإنك تجلس في أي مكان
وتحسبه إن أردت إحصاءه .. ولكن إذا كان هذا المال حراما .. فإنك
تبحث عن مكان مهجور ، أو طريق مظلم ، أو بيت لا يراك فيه أحد ،
لتحصى هذا المال .. فإذا سالك أحد : ماذا كنت تفعل ؟ .. كذبت ولم
تستطع أن تقول له : كنت أعد مالا مسروقا ..

إنه فإنه عندما يستحل الكذب ، فمعنى ذلك ان المعصية قد
تفشيت في المجتمع .. وأن أفعال الناس لا تتفق مع منهج الله ..
وما دامت الأعمال لا تتفق مع منهج الله .. فإن الناس يستحلون
الكذب ليخفوا معاصيهم .. وهذا دليل على انحراف خطير في
المجتمع ..

واستخفوا بالدماء

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستخفوا بالدماء » ..
أى انتشر القتل بدون قصاص . وهذا ما نراه الآن في العالم كله في
الحروب الأهلية وحوادث النسف والتدمير التي لا تكاد تخلو نشرة
أخبار واحدة منها .. هؤلاء الناس الذين دبروا حوادث النسف
هذه ، واستخدموا السيارات الملقومة ، واطلقوا الرصاص
عشوائيا ، واستخفوا بدماء الناس .. لأن هؤلاء الضحايا هم ضحايا
إبرياء .. لم يفعلوا شيئا حتى استحقوا القتل .. وهم ليسوا طرفا في
النزاعات التي تحدث .. ولذلك لا تستحل دماؤهم .. ولكن أولئك
الذين يقومون بهذه العمليات التي تتم في معظم دول العالم ،
ويدبرون حوادث النسف والاعتقال ، إنما يستخفون بدماء البشر ..

وباعوا الدين .. بالدنيا

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستعلوا بالبناء وبعوا
الدين بالدنيا » .. معناه أن الناس قد استحلوا جمع المال عن أى
طريق وبأى طريق .. وليس لديهم أى وازع من الدين .. بل إنهم في
عملهم وكل تحركاتهم .. ليس في بالهم الله .. ولكن في بالهم أن يعلو
بنيانهم ، وتزداد ثرواتهم .. وما دام هناك بيع فمعناه أن هناك سلعة
وثمنا .. ويكون الذى بيع هو الدين .. فمعناه أنهم اخنوا

مغانم الدنيا ، بدلا من منهج الله .. وأصبح الصراع بين الناس صراعا بين دنيا ودنيا ، وليس صراعا بين دنيا وآخره .. ولم يعد لحد يحرص على الدين حرصه على المال أو متاع الدنيا . مع أن كل ما في الدنيا زائل مهما طال العمر ..

الزكاة .. مغرم

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كانت الأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، والتعلم لغير الدين ، واطاع الرجل امرأته ، وعق أمه وود صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وأكرم الرجل مخالفة شره ، وظهرت القينات وكثرت المعازف ، وشرب الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها) ..

ومعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من علامات القيامة أن تكون الأمانة غنيمة لمن أؤتمن عليها لا يردها وقد سبق أن بينا ذلك .. أما أن تكون الزكاة مغرما . فهي أن يعتبر الناس دفع الزكاة غرامة يحولون أن يتهربوا منها .. بينما الزكاة هي ركن من أركان الاسلام .. ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .. ولكن الناس لأنهم ابتعدوا عن منهج الله يعتبرون الزكاة غرامة .. لا يؤدونها إلا وهم كارهون .. هذا إذا أدوها .. ويحولون التهرب من أدائها بمبررات كاذبة ..

والتعلم لغير الدين

والتعلم لغير دين فراه الآن في مجتمعاتنا .. فالأب حريص على أن يعلم ابنه اللغات .. وحريص على أن يعلمه العلوم الدنيوية .. والناس يتقاتلون ليلحقوا أولادهم بما يسمى الآن بمدارس اللغات .. والأب يضرب ابنه ويراقبه مراقبة دقيقة إذا لم يذاكر .. مع أنه لا يأمره بالصلاة مثلا ، ولا يجلسه عليها ، ولا يحثه عليها ..

ولا يحول ان يجعله يدرس علوم الدين مع علوم الدنيا .. أو يعرف شيئاً عن دينه .. بل كل همه هو العلوم الدنيوية .. مع ان الأب في هذا قصر النظر .. ذلك انه يعمل لشيء قد لا يقع ، ويترك شيئاً لا محالة واقع .. فقد يموت الابن قبل ان يتخرج في الجامعة ، فلا يحقق هدفاً .. وقد يصاب بمرض يقعه عن العمل فيضيع كل ما تعلمه .. ولكن هذا الابن لا محالة سيقبل الله .. أى ان تعلمه للدين ، واتباع المنهج ، امر له جزاء مضمون .. فلا أحد سيفلت من الآخرة .. اما علوم الدنيا فلا ضمان في الدنيا .. ومع ذلك فاننا نجد الناس يتكالبون ليعلموا اولادهم لغير دين .. ولا يهتم إلا القليل منهم بتعليم اولادهم الدين ، ومحافظتهم على الصلاة ، وحثهم على صالح الأعمال ..

وأطاع الرجل امراته وعق أمه

اما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطاع الرجل امراته ، وعق أمه ، وود صديقه ، وأقصى أباه) .. فمعناه ان الرجل حينما يتزوج يطيع امراته في كل شيء ، وهو يغرقها بالمال وما تحتاج اليه .. فإذا كانت أمه فقيرة ، عقها ولم يعطها شيئاً .. وإذا كانت مريضة ، وطلبت منه امراته ان تذهب لزيارة إحدى صديقاتها ، ترك أمه المريضة ولم يزرها ، وصحب زوجته في هذه الزيارة .. وإذا كانت الأم تعيش وحيدة في شقة أغرت امراته بلخارج أمه من الشقة ، لتحصل هي على الشقة .. وبيوت المسنين فيها امثلة كثيرة من الأمهات اللاتي طردهن اولادهن من منازلهن .. واحياناً يؤذى الرجل أمه إرضاء لزوجته .. مع ان الرجل أمه آلاف النساء ليختار منهن زوجة .. ولكن ليس له إلا أم واحدة .. وعقوق الأم جريمة كبرى

في الاسلام .. فانه قد حث على رعاية الام والاب في شيخوختهما ..
وقال تعالى :

﴿١٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ

﴿١٤﴾ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

(سورة الاسراء - الآية ٢٤)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجنة تحت اقدام
الأمهات » .. وعندما سألته صحابى .. من أحق الناس بصحبتى
يا رسول الله ؟ .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمك .. وكررها
ثلاث مرات .

وما يقال عن الأم ، يقال عن الأب .. فالابن قد يترك اباه المريض
الذى لا يجد احدا يعطيه كوب ماء ، ويذهب ليقضى السهرة مع
اصدقائه .. وقد يأخذ مال ابيه الذى هو فى أمس الحاجة اليه لينفقه
على اصدقائه .. وقد يزور صديقه المريض ، ولا يزور اباه المريض ..

وظهرت الأصوات

في المساجد

اما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وظهرت الأصوات في
المسجد) .. ان الناس يذهبون إلى المسجد ليس للعبادة ، ولكن
للتحدث فى شؤون الدنيا .. والمسجد هو بيت الله .. وإذا ذهبت إلى
المسجد ، فانت تذهب لذكر الله والعبادة وإيك وانت فى المسجد ان
تتحدث فى شان من شؤون الدنيا .. ولكننا نرى الناس يذهبون إلى
المسجد لاتمام صفقة ، او للاتفاق على تجارة ، او أى شىء من هذا
القبيل .. ويقول احدهم للآخر : ساقبلك فى المسجد لتتفق على هذا
وذاك وبذلك تخرج المسجد عن انها دور للعبادة ، وتصبح

مكننا دنيويا للتحدث في شئون الدنيا .. ومن يتفق على تجارة ،
أو أى شأن من شئون الدنيا في المسجد .. فلا يبارك الله له فيما اتفق
عليه .. وذلك أن المسجد لا يقصد إلا للعبادة .. ولا يتحدث فيه
إلا بذكر الله والتسبيح له ..

تكريم الرجل وخافة شره

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأكرم الرجل مخافة
شره » .. أى أن الناس من خوف الدنيا تكرم الرجل الشرير اتقاء
شره ، ولا تكرم الرجل الكريم .. فالإنسان عادة يكرم لدينه ، ويكرم
لخلقه ، ويكرم لعلمه .. ولكنه لا يكرم أبدا لشره .. بل إن الإنسان
الشرير لابد أن يقف للمجتمع كله أمامه حتى يقوموه .. ولكن لأن
الخوف يملأ قلوب الناس .. فانهم لا يجروؤن على مواجهة الإنسان
الشرير .. بل يكرمونه لئبتعد عنهم .. وفي هذا تشجيع للشر
والرديلة في المجتمع .. بحيث يصبح الشر هو القوى .. وهو
الساقد .. وهو الذى يحكم المجتمع ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكثرت القينات والمعازف
وشرب الخمر » .. والقينات هن المغنيات ، وغيرهن ممن يعملن في
هذا المجال .. والمعازف معناها أماكن اللهو التى تعزف فيها
الموسيقى ، وتلهى الناس عن دينهم وعن ذكر الله .. ولعلنا نشهد
الآن هذه الظاهرة بعد أن كثرت أماكن اللهو والغناء والخمر ..
وأصبحت في كل حى ، وهى تزداد ولا تنقص .. بمعنى أنه يفتح
الجديد منها ، والقديم قائم ..

ظهور هذه الأماكن معناه أن الناس قد نقضوا نظام الله في
الكون .. ذلك لأن الله تعالى قد جعل الليل لباسا والنهار معاشا ..

أى أن الإنسان المؤمن حين يأتى الليل يأوى إلى بيته بعد صلاة العشاء لينام .. ولكن وجود هذه الأملكن يجعل الناس يسهرون الليل ، بدلا من أن يناموه .. ويضيع منهم اعتدال حركة حياتهم .. ويقوم الإنسان من نومه بعد شروق الشمس بساعات .. ويكون قد اضاع صلاة الفجر التى هى خير من الدنيا وما فيها .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .. وينزل الإنسان لعمله متعبا ، لأنه لم يمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى أن ينام الليل .. بل ظل ساهرا حتى ساعة متأخرة .. وتكون النتيجة انه اضاع صلاة الفجر ، واضاع إنتاج اليوم . وبعض الناس يشكون من انهم لا يستطيعون الاستيقاظ عند الفجر للصلاة .. نقول لهؤلاء جميعا : لو انكم اتبعتم منهج الله واويتم إلى فراشكم بعد صلاة العشاء ، فانكم ستستيقظون فى الفجر ، بل قبل الفجر ربما بساعة أو أكثر .. فالليل للسكون ، وليس للحركة .. وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

وَجَعَلَ اللَّيْلَ لِيَاسًا ۝١٠ وَجَعَلَ النَّهَارَ مَعَاشًا

(سورة النبا - الايتين ١٠ - ١١)

ولكن المعازف والسهرة فى الليل .. يتنافى مع كون الليل سكنا لينام الإنسان ويجدد نشاطه ..
 إذن فظهور القينات والمعازف وشرب الخمر .. هو إفساد لمنهج الله ، وإضاعة لصلاة التهجد ، وصلاة الفجر ، وقرآن الفجر .. وكل هذا يشير إلى أن الناس يبتعدون عن تطبيق المنهج ..



يلعن آخر الأمة

أولها ..

ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويلعن آخر هذه الأمة أولها) .. أى أن الذين يعيشون خلال هذه الفترة يهجمون الصحابة ويصفون هذا الدين بالتخلف .. ويتحدثون عن السلفية أحاديث مقصودا بها تشويه السلف الصالح .. أولئك الذين حملوا هذا الدين ونقلوه إلى الدنيا كلها .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز في وصف المؤمنين ..

يُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا
يُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا
يُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا
يُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَنَا

(سورة الحشر - الآية ١٠)

وهكذا طلب منا الله سبحانه وتعالى أن نطلب المغفرة لأولئك الذين سبقونا بالإيمان .. على أساس الوحدة الإيمانية للمؤمنين أولا .. وعلى أساس أنهم تركوا لنا من العلم ما ننتفع به في ديننا .. فكل ما كتب حول القرآن الكريم قام به أولئك الذين سبقونا في الإيمان .. ولحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وتفسير هذه الأحاديث وصلتنا عن الذين سبقونا في الإيمان .. وكتبهم ودراساتهم لا تزال موجودة بيننا حتى اليوم .. تعطينا نور الإيمان .. وتبين لنا كيف أن السلف الصالح قد أقنوا أعمارهم في دراسة دين الله ، والتفقه فيه ليقدّموا لنا ذخيرة لا تنفد .. ولكن المنتظر منا ، بعد أن قدموا لنا هذه الخدمة الجليلة في ديننا ، أن نطلب لهم الرحمة والمغفرة ،

وأن يتقبل الله منهم صالح أعمالهم .. بهذا وصف الله المؤمنين في القرآن الكريم ..

ولكننا الآن نجد تجنيا واضحا وعلنيا على السلف الصالح .. وهجوما وتشويها لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وإصلاق التهم الباطلة بهم .. وصب اللعنات عليهم .. واتهامهم بانهم سبب تخلف هذه الأمة .. وهذا يتم جهارا نهارا في الصحف والمجلات والكتب .. ويتخذ بعض الناس من الهجوم على السلف الصالح وتشويههم صناعة يتكسبون منها في الحياة الدنيا ..

الورع تصنع

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من علامات القيامة أن يكون الزهد رواية ، والورع تصنعا ، وأن يكون الولد غيظ أبيه وأمه . وأن يصدق الكذب ، ويكذب الصادق ، ويؤتمن الخائن ويخون الأمين ، ويسود كل قبيلة منافقوها . وكل سوق فجلرها . «وأن يعمر خراب الدنيا ، ويخرب عمرانها» ..

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن يكون الزهد رواية والورع تصنعا» هو أن يخفى أولئك الزهاد والوراع الحقيقيون .. وأن يظهر الإنسان غير ما يبطن ، فيصبح الزهد ليس حقيقة ، ولكنه مجرد روايات كاذبة يتناقلها الناس عن بعض الناس .. في محاولة لخداع عامة المسلمين ، وإيهامهم بأن هذا الرجل زاهد في الدنيا .. ليحصل بهذه الطريقة على مزيد من المال .. ويقال : أن هذا الإنسان زاهد .. في حين أنه يملك مالا كثيرا .. يكثره ولا يتصدق به .. أو تصبح تجارة الناس هي الدنيا .. ومن تكالبتهم عليها لا يكون الزهد حقيقة .. ولكنه يكون ماضيا قد اندثر يحكيه الرواة عن آبائهم ، أو عن أجدادهم .. ويقولون في علم كذا كان هناك رجل زاهد يعيش في مكن كذا ، ويفعل كذا وكذا .. وتصبح حكايات الزهد

كلها هي روايات عن الماضي ، ليس لها واقع ، وليس لها حاضر ..
فبيحث الناس عن الزهاد فلا يجدونهم ..

(والورع تصنعا) .. أى أن الناس تتظاهر بالورع .. ولكنه في الحقيقة ليس موجودا في قلوبهم .. وينتشر الرياء في الدين .. فيذهب الانسان إلى المسجد لا يقصد الصلاة ، ولكن ليقول الناس عنه : إنه وصل .. ويذهب الانسان إلى الحج لا يقصد الحج ، ولكن ليقال عنه إنه حاج .. ويتحدث الناس عن الدين ويتخذونه صناعة ، يعلمونه للناس ولا يعملون به .. ويقيم الناس المساجد لا يقصدون منها وجه الله .. وإنما يقصدون منها أن تخلد أسماؤهم في الدنيا ، أو أن يحصلوا على إعفاءات من رسوم عقارات ، أو أرض مجانا ، أو أى ميزات دنيوية كالذى يخصص مكلنا صغيرا في عمارة كزاوية للصلاة ، وهو في الحقيقة يريد إعفاءه من الضرائب العقارية .. أو كالذى يتحليل لبناء عمارة بأن يحصل على رخصة بناء مسجد حتى يتخطى أوامر منع البناء في منطقة معينة ، ثم بعد ذلك يقيم العمارة التى يريد بها .. أو ذلك الذى يأتى إلى أرض ليسورها على أساس أنها مسجد ليأخذها مجانا ، أو بثمان زهيد ، ثم بعد ذلك يبني عليها ما يريد ..

كل هذه الأشياء لا تنفع ، ولا يجزى الله سبحانه وتعالى عنها احدا من الذين قاموا بها .. فلا يعتقد احد انه يستطيع ان يخدع الله .. قد يستطيع الانسان ان يخدع الناس .. ولكن احدا لن يستطيع ان يخدع الله .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ١٧ ﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا

(سورة الجن - الآية ١٨)

تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا

فإذا لم يكن بناء المسجد يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى
 خلاصا .. يشيد أولا كمسجد ، وليس كوسيلة للحصول على إعفاء
 ضريبي أو رخصة بناء ، أو أى نوع آخر من الفوائد الدنيوية ..
 والا يكون تخليداً لذكرى إنسان .. إذا لم يكن المسجد كذلك
 فلا يتقبل بناؤه .. اما ما يمكن ان يقال عن المساجد التى سميت
 بأسماء اولياء الله الصالحين .. فإن هؤلاء الصالحين اسهم خالد في
 الدنيا بعملهم الصالح .. وهم لم يبنوا هذه المساجد ، وإنما بناها
 من بعدهم .. كما أنها مبنية في أحياء من المدن مسماة بنفس
 الاسماء .. والمهم هنا الا تكون نية صاحب المسجد ، وهو يبنيه ،
 انه يفعل شيئا ليخلد اسمه في الدنيا ..

وهكذا نرى ان من علامات الساعة ان يصبح الزهد رواية ،
 ويختفى الزهد من الدنيا ، ويلعن السلف الصالح . وان يصبح
 الورع تصنعاً .. أى يختفى الورع من القلوب ، ويصبح مجرد
 صناعة يلجا اليها بعض الناس من أجل أغراض دنيوية ..

يكون الولد غيظ أبيه

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان يكون الولد غيظ أبيه
 وأمه) .. معناه ان موازين الحياة ستختل ، بحيث يصبح الولد
 أو الابنة هما مثل التعب والغيظ للام والأب .. والولد اسلماً يكون
 قرّة عين أبيه وأمه .. وامرأة فرعون قالت عن موسى عليه السلام :

﴿ قرّة عين لى ولك ﴾

(سورة القصص - الآية ٩)

أى ان الولد اسلماً موجود في الدنيا كقرّة عين لأبيه وأمه ،
 يعينهما على الحياة ويطيعهما ويرعاهما في الكبر .. ولكن بدلا من ان
 يحدث ذلك يكون الولد غيظاً لأبيه وأمه .. يعمل ما يغيظهما ..

فيتلف المال ، وربما كان الأب والأم لا يملكان من المال ما يكفي ..
ويوجد لهما المشكل بسوء عمله مع الناس ، أو اعتدائه عليهم ..
ولا يعينهما على قضاء حوائج الحياة ، فإذا طلبا منه أن يفعل لهما
شيئا رفض .. وإذا طلباه بأن يؤدي عملا قالا : لا .. وهكذا لا يأتي
منه راحة لأبيه و أمه .. بل يأتي منه ما يعيظهما وينغص عليهما
حيلتهما .. ويصيح الأب يتمنى لو أنه لم يرزق بهذا الغلام الذي
حول حياته إلى شقاء لا يعينه على الحياة .. ولكنه يزيدا ظلمات
وتعقيدا ..

كما أن بعض الأبناء لا يحمل احتراماً لأبيه ، فإذا تكلم الأب
عارضه الابن ، وربما هاجم رايه إلى آخر ما نراه الآن .. وكل هذه
العلامات إنما هي دليل على نقض منهج الله ، وعدم العمل به ..
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يصدق الكاذب ، ويكذب
الصادق ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين » .. معناه اختلاط القيم
في المجتمع ، بحيث يختلط الأمر على الناس .. فمن كثرة الكذب الذي
يسمعونه لا يعرفون من يصدقون ومن يكذبون .. كل كلمة تحتمل
الكذب .. وكل ما يقال بعيد عن الحقيقة .. ولذلك فإن الناس
يصدقون الكاذب ، لأنهم لا يسمعون إلا كذبا .. فإذا جاء إنسان
مخلص يريد أن يقول لهم الحقيقة كذبوه .. كذبه أولا أصحاب
المنافع الدنيوية .. الذين يريدون للكذب أن يسود حتى يصلوا إلى
أهدافهم بالنفاق والخداع .. وكذبه الناس من كثرة ما يروى من
الكذب على أنه صدق ..

ويؤتمن الخائن ويخون الأمين تحمل نفس معنى اختلاط القيم ..
فلا يعرف الناس من هو الأمين من كثرة انتشار الخيانة فعندما يأتي
رجل أمين لا يصدقه الناس ويخونونه .. لأن الخيانة هي السمة في
المجتمع كله . أما أن يؤتمن الخائن فهي أن يكون إنسان خونة ..
يدعون الأمانة ، ليحصلوا على أموال الناس بالباطل .. وبعض
الناس يصدقونهم ..

ويود القبيلة

مناقضها

وقوله صلى الله عليه وسلم (ويسود كل قبيلة مناقضوها) .. علامة على ان النفاق سيكون هو الوسيلة للارتقاء في المجتمع والتقدم إلى أعلى المناصب .. وهذا أيضا دليل على اختلال القيم في المجتمع ، فلا يعتمد تقدم الانسان في الحياة على علمه ، أو عمله ، أو ثقافته ، أو مهارته .. بل يعتمد على إتقانه للنفاق .. فكلما اتقن الانسان النفاق كانت فرصته أكبر للوصول إلى أعلى المناصب ..

وهكذا تصبح القمة من المنافقين ، ويزوى المخلصون بعيدا .. وهذا معناه ان الأمور لا تصرف بالحق ، ولا بالصدق .. ولا بالأمانة .. ولكن تصرف بهوى النفس . وتصبح الأغراض الشخصية هي التي تحكم ..

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان يسود كل سوق فجارها » .. والفاجر هو الذى يجاهر بالمعصية .. أى ان يكون أولئك العاصون هم الذين يعجب بهم الناس ، ويجاهرون بالمعصية .. وان يكون التاجر الذى يغش ويبخس فى الميزان ، ويحقق الأرباح الفلحشة هو سيد السوق .. أى أكثر التجار غنى .. وأكثرهم احتكرا لأقوات الناس ..

وان يكون المؤمن فى القبيلة أنزل من النقد .. والنقد هو صغار الغنم .. أى لا يؤبه به ، ولا يكون له أى وزن فى قبيلته ، لأنه محافظ على إيمانه ..

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان يخرب عمران الدنيا ، ويعمر خرابها » .. أى ان تحدث الفتن فى المدن التى يسكنها الناس ويقاثل الناس بعضهم بعضا .. حتى تخرب الأمكنة العامرة ، ويهرب منها الناس ، وتصبح خرابا .. وهذا حادث الآن فى كثير

من دول العالم .. حيث تخرب الحروب الصغيرة ، والحروب الأهلية المدن العامرة ، وتحولها من اماكن مليئة بالخير إلى اماكن خربة .. ولعلنا إذا اردنا ان نأخذ مثلا قريبا .. فامامنا لبنان .. أما ان يعمر خراب الدنيا .. فمعناها ان تضيق الأرض بالناس .. حتى إنهم لا يجدون حلا لاستمرار حياتهم إلا ان يعمروا الأمكن الخربة .. فيحاولوا زراعة الصحراء والأمكن النائية عن العمران لتستطيع الحياة ان تستمر ..

شهادة الزور

ومن علامات الساعة التي رواها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق .. ونشر الغلم أى كثرة النكته) . وقلة العلماء . وانتشار البيع بالربا والسحت بالهدية . وان تزخر المحاريب : وتخرب القلوب) .. ومعنى ذلك ان الحق يخفى من الأرض ، فتظهر شهادة الزور ، وتكتم شهادة الحق ، ويجد الرجل ان هناك قول زور يقال أمامه فيؤمن عليه ، ولا يستطيع لسانه ان ينطق بشهادة حق .. ونشر الغلم أى كثرة النكته ، معناه استهتار الناس بالقيم ، ولجذهم الجذ بالهزل .. فيهزلون طوال يومهم ، ولا يقوم واحد منهم بأى عمل جاد .. وقلة العلماء .. أى ان العلماء يصيح عددهم أقل من القليل .. فلا يوجد العلماء الذين ينشرون كلمة الحق . وذلك معناه ان يذهب الصالحون الأول فالأول .. ولا يبقى إلا أولئك الذين لا يعرفون من العلم إلا القليل النادر .

واستحلال البيع بالربا ، معناه ان ينتشر الربا .. ويقول الناس عنه إنه بيع .. أى يحصل الناس على الربا ، ويستحلونه باسم البيع .. والسحت بالهدية .. أى يستحل الناس الرشوة على أساس انها هدية .. أى ان الناس يتحايلون على إظهار الربا انه بيع .. والحصول على الرشوة والمال الحرام ، ويسمونها هدية ..

تزخرف المحاريب وتخرب القلوب

وقوله صلى الله عليه وسلم (ان تزخرف المحاريب ، وتخرب القلوب) .. معناه ان حقيقة الايمان تختفى ، ولا يبقى إلا مظهره .. فالناس تكون قلوبها خربة ليس فيها نرة من ايمان .. ومع ذلك فهي تتسابق لتزخرفة المنابر والمساجد تظاهرا وليس عن ايمان .. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وان يقرأ القرآن فلا يتجاوز الحلقوم) .. معناه ان القرآن سيقرا باللسان فقط ، ولا يعمل به .. اى ان الانسان يقرأ القرآن بلسانه ، فلا يدخل إلى قلبه .. ويقوم من قراءة القرآن ليفعل ما حرمه الله .. هذه بعض اشراط الساعة ، او علامات القيامة التي انبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهناك علامات اخرى كثيرة قد تحققت .. سنتعرض لها في الأجزاء القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله ..

ومادامنا قد تحدثنا عن مقدمات الساعة .. فلا بد ان نكمل الحديث عن بداية أحداث الساعة .. وهذا هو موضوع الفصل القادم ..



أُمَامِيَّةٌ قَدْسِيَّةٌ

من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي

قال ابو هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله - عز وجل - : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة . او ليخلقوا حبة . او شعيرة ، .



فضل المريض الذى يهدد ربه

« إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه بملكين . فقال انظرا ماذا يقول لعوده ؟ فإن هم جاعوه وحمد الله واثنى عليه . رفعا ذلك إلى الله عز وجل - وهو اعلم - فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة . وإن انا شفيته ان ابدل عليه لحما خيرا من لحمه . ودما خيرا من دمه . وان اكفر عنه سيئاته ، .



الصوم لى وأنا اجزى به

« الصوم لى وأنا اجزى به . يدع شهوته واكله وشربه من اجلى . والصوم جنة . وللصائم فرحتان . فرحة حين يقطر . وفرحة حين يلقى ربه . ولخلاف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ، .

■ الفصل السابع ■

وجاء يوم القيامة

قبل أن نتحدث عن يوم القيامة ، وما سيحدث فيه . . لا بد أن نتناول أولا معنى الآية الكريمة :

أَثَرِي السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ

(سورة القمر - الآية ١)

ذلك أن بعض الناس يجادل في هذه الآية ، ويقول إنها حدثت وانتهت والبعض الآخر يقول إنها ستحدث في آخر الأيام .
ومسألة انشقاق القمر هي معجزة حسية ، او معجزة مشاهدة . . والمعجزات الحسية تأتي مرة واحدة ولا تتكرر . والمقصود بها هم الذين شهدوها . . اما نحن الذين لم نشهدها فإننا نصدقها ، لأنها جاءت في القرآن الكريم . . ومن هنا فإن موسى عندما ضرب بعصاه فانشق البحر . . نحن لسنا المقصودين بهذه المعجزة . . ولكن المقصود بها هم أولئك الذين شهدوها . . اي تثبيت المؤمنين الذين كانوا مع موسى عليه السلام ، وجنود فرعون يتبعونه . .
فالذين يقولون أن انشقاق القمر قد حدث . . هم الذين شهدوا هذه المعجزة . . ومعنى اقتربت الساعة ان رسول آخر الزمان قد بعث . . هذا هو معنى الاقتراب . . فإن كل رسول ، قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاء وبعده رسل . . اما الرسول الخاتم ، وهو محمد عليه الصلاة والسلام . . فهو الرسول الذي ستقوم

على رسالته الساعة . . . ولن تأتي بعده رسالة أخرى من السماء . . .
هذا هو معنى « اقتربت الساعة » .

أما معنى « وانشق القمر » . . . وهل سينشق أم انشق فعلا . . .
إذا أخذناها بمعنى أنه قد انشق فعلا ، فهذه ظاهرة كونية ، وهي
ليست مطلوبة ممن لم يراها . . بل هي مطلوبة ممن شهدها ، لأنها
تجىء لمن يشهدها . . وهي تكون آية على صدق هذا الرسول ،
ولا تأتي للبشر كافة . . وإنما لمن شهدوها .

فالذى جاء للناس كلها . . للبشر جميعهم ، لم يكن آيات
كونية . . ولكنه كان معجزة خالدة مستمرة لا تنتهي أبدا . . فمثلا
عندما نقول ان عيسى ابرا الأكمه والأبرص . . فهذا لم يحدث إلا مرة
واحدة ، ثم انتهى .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بمثل هذه الآيات . . ولكننا
نحن لسنا مطلعين بها . . إنما المطلب بها من شهدها . . فنبيع الماء
من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظليل غمامة له ،
وتسبيح الحصى في يديه . . كل هذه آيات كونية لتثبيت المؤمنين
الأوليين الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ومن
شهدها فهو مطالب بها .

وانشقاق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه بعض
الناس . . وبعض الناس لم يروا . . نقول : ان هذا شيء طبيعي . .
لأننا ، ونحن الآن في عصر تقدم ، يحدث خسوف للشمس ،
أو خسوف للقمر . . كم من الناس يشاهد هذه العملية . . عدد قليل
جدا . . مع ان الموعد يكون معلنا مسبقا . . والناس قد قرأوا الخبر
وسمعه من أكثر من مصدر . . فإذا حصل خسوف للقمر ، وهذا
يحدث ليلا ، فمعظم الناس يكونون نياما ، ولا يراه إلا قلة من
العلماء الذين يعملون في الفلك ، وبعض من يبقى مستيقظا خصيصا
ليتابع هذا الحدث .

إن فلا معنى لأى ظاهرة كونية إلا لمن يراها . . ونحن نقول دائما انه ليس مع العين علم . . ولذلك فإن الذى رأى ليس مطوباً به الإيماء الرؤية علم وليست ايماننا .

بقى الذين لم يروا . . من أراد ان يصدق فقد آمن بان هذا حدث . لانه فى هذه الحالة يكون ما تم غير مشهود بالنسبة له . . اى غيباً بالنسبة له . . والايمان لا يكون إلا بالغيب . . ولا يكون بشىء حسى مادى مشاهد .

ففى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر ، وراه من راه . . فمن أراد ان يصدق رواية الذين راهه فقد آمن . . ولكن المسألة عندما تذكر فى القرآن الكريم ، او يجيء بها القرآن مؤكداً رواية الرواة تصحح يقينا .

وأما من يريد تفسير الآية الكريمة ، بمعنى ان اقتربت الساعة . . اى ان الساعة تقترب . . وينشق القمر أية لها . . فنحن لا نستطيع ان ننفى ان ذلك يمكن ان يحدث . . وما دام الله سبحانه وتعالى يقول « اقتربت » ، فإننا لا بد ان نعرف يقينا انها اقتربت . . ذلك لان الله حين يخبرنا بشىء مستقبلى فهو يقين إيمانى .

أتى أمر الله فلا تستعجلوه

وهنا ننبه إلى قول الله سبحانه وتعالى :

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ

(سورة النحل - الآية ١)

. . كيف يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أتى ﴾ . . ثم يقول « لا تستعجلوه » . . ما دام قد أتى . . اى قد حدث وتم . . فكيف لا نستعجله ؟

نقول لمن يحاول ان يستخدم مثل هذا الاختلاف الظاهري بين الالفاظ ان الله سبحانه وتعالى حين يتحدث عن امر مستقبلي ، فإنه يتحدث عنه بأنه قد وقع وتم فعلا . . ولا يستطيع احد من خلق الله ، ولا قوة غير الله ، ان يتحدث عن المستقبل في صيغة الماضي . .
لماذا ؟

لان الانسان إذا تحدث عن شيء سيقع في المستقبل ، فلا بد ان يتحدث عنه كشيء مستقبلي . . فالانسان لا يملك القدرة ولا القوة ليضمن حدوث الشيء . . فهو لا يملك البقاء على قيد الحياة ، حتى يأتي موعد وقوع الشيء . . وهو لا يضمن ان قوته ستمكّنه من عمل هذا الشيء ، حتى إذا بقي على قيد الحياة . . وهو لا يضمن الظروف التي قد تكون سائدة في هذا الوقت ، حتى يقع هذا الشيء لو لا يقع . . فقد يأتي شيء ما خارج عن إرادة الانسان يمنع حدوث ما وعد الانسان بأنه سيحققه . . ونحن لا نملك المستقبل .
ولكن الله سبحانه وتعالى حي لا يموت . . قاهر فوق عباده . . لا احد يستطيع ان يمنع حدوث امر الله . . فإذا حدث الله سبحانه وتعالى عن المستقبل بصيغة الماضي ، فإنه لا محالة حدث .
إنّ فإن المستقبل بالنسبة للبشر يصح ان يكون او لا يكون . . ولكن الإخبار من الله القادر على قوله . . يكون قد وقع بمجرد إخبارنا به . . وإن لم يكن نراه او نشهده .
والذين يقولون انشق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . والذين يقولون سينشق القمر عندما تقترب الساعة . . نقول : إن كلا القولين غير متعارض ، فالقمر قد انشق . . والقمر سينشق مرة أخرى .



أحداث يوم القيامة

ونأتى إلى ما جاء في القرآن الكريم عن أحداث يوم القيامة . .
فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَنُفِخُ فِي الصُّورِ
فَتُصْعِقُونَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخُ
فِي أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾

(سورة الزمر - الآية ٦٨)

.. وقوله تعالى :

﴿ يُرْجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾

(سورة القمر - الآية ٧)

هاتان الآيتان وأيات غيرها تخبرنا كيف سيخرج الناس من قبورهم . . فنحن نأتى إلى الدنيا تباعا . . أى فردا فردا . . ولكننا حين نبعث في الآخرة . . فإننا نبعث مرة واحدة ، أى نقوم جميعا في لحظة واحدة . . حينئذ يصبح هناك ازدحام شديد . . لأن أهل الأرض كلهم منذ بداية الخلق قد خرجوا من قبورهم دفعة واحدة . . والله يريد أن يقرب لنا هذه الصورة بشيء يحدث أمامنا في الدنيا . . فيشبه هذا الازدحام بالجراد . . عندما يأتى يكون هناك ازدحام رهيب . . بحيث لا تستطيع أن تميز بينه كافر . . بل يكون كأنه غمامة لا تستطيع أن تميز بين فرد وآخر . . ويحجب الازدحام الشمس ، ويصبح الأفق مظلمًا . . ولا احد يستطيع أن يميز

في وسط الزحام . . بل افواج تلو افواج . . هذه إحدى صور يوم
الحشر . .

والناس سيخرجون من نفس الأرض التي دفنوا فيها . . وبعد
خروجهم . . يساقون إلى أرض المعاد . . فتنقلب السموات غير
السموات . . والأرض غير الأرض . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُبَدَّلُ

الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

(سورة ابراهيم - الآية ٤٨)

. . وهذا القول لا يعارض قول الله سبحانه وتعالى :

﴿٧١﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

(سورة الاعراف - الآية ٢٥)

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

. . لأن الناس سيخرجون من هذه الأرض . . سيبعثون منها . .
ثم بعد ذلك يساقون إلى أرض المعاد التي سيتم فيها الحساب .
والأرض التي نعيش عليها هي معدة للحياة الدنيا حتى لحظة
البعث . . ومخبر فيها أقوات البشر وأرزاقهم . . ولأنه في الحياة
الآخرة تنتفى الأسباب . . لا تصيح هذه الأرض التي نعيش عليها
صالحة . . فقد أدت مهمتها في استيعابها الحياة الدنيا . . ثم انتهت
هذه المهمة بيوم البعث . . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن
يخرج الانسان إلى أرض المعاد . . فإن تلك الأرض التي كان مطمورا
فيها اسباب الحياة . . ومطمورا فيها أقوات البشر انتهت مهمتها . .
فالرزق في الآخرة سيأتي من الرزق مباشرة . . وليس بالأسباب . .

هل سنخرج ونمضى؟!؟

ولكن هل سنخرج ونمضى هكذا بدون ان تكون غلبتنا محددة . .
 وهل كل واحد فينا يستطيع ان يذهب إلى اى مكان يريدُه وعلى
 هواه . . هذا يتأخر وهذا يتقدم . . وهذا يذهب يمينا ، وهذا يذهب
 يسارا . . وهذية إلى الخلف . . وهذا يزاحم من الخلف ليتقدم
 الصفوف .

لن يحدث هذا ابدا . . فلقد انتهت أهواء النفوس ورغباتها . .
 واصبح كل واحد منا خاضعا لأمر الله مباشرة . . لقد انتهى الاختيار
 في افعال ولا تفعل . . انتهت فترة الامتحان . . ولم يعد احد قادرا
 على الا يفعل إذا قال الله افعل . . او ان يفعل إذا قال الله لا تفعل . .
 فهذا الاختيار كان ممنوحا للبشر في الحياة الدنيا لحكمة . . وهو ان
 يكون كل انسان شهيدا على نفسه . . وان يختار الانسان طريقه
 بإرادته ليكون الحساب عدلا . . ولكن هذا انتهى اليوم . فلم يعد
 لأحد حرية ليختار ما يريد . . بل أصبح الأمر كله لله .
 انظر إلى دقة الأداء القرآني في قوله تعالى :

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِرٌ وَشِرْكٌ﴾

(سورة ق - الآية ٢١)

. . ما هو السائق؟ . . السائق هو الذى يسوق الغنم إلى
 المرعى . . ومكفنه دائما خلف الغنم حتى يصحح مسارها . . فإذا
 انحرفت يمينا أسرع هو ليعتل مسارها . . وإذا انحرفت يسارا
 أسرع ليعتل مسارها . . إذن لكل انسان من يسوقه إلى مكفنه يوم
 القيامة . . يسوقه إلى أرض المعاد . إلى الحساب .

المؤمن الذى عرف ان مصيره النعيم سيمضى وهو مسرور

مبتسم . . ولكن الكافر الذى عرف ان مصيره إلى النار . . كلما توقف
 فإن هذا السائق الذى وراءه يدفعه إلى الأمام إذا حاول أن يتجه إلى
 أى اتجاه آخر . . فإن هذا السائق سيدفعه إلى مساره . . لأنه
 لا يقوده ، أى لا يمشى أمامه . . ولكنه يسوقه ، أى يمشى خلفه ،
 حتى لا يفلت منه ، ويكون أمام نظره دائما . . حتى إذا حاول أن
 يقف أو يتوقف يدعّه دعاً إلى أن يوقفه فى مكانه .
 اما معنى قول الله سبحانه وتعالى « وشهيد » . . فإن الإنسان
 يكون معه شهيد من نفسه ، وشهيد من صحيفة عمله . . بل ان
 جوارحه تشهد عليه يوم القيامة . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة النور - الايات ٢٤)

. . إذن فكل إنسان سيكون معه كتابه ، ومع الشاهد عليه . .
 ويقف الناس لرب العالمين . .

وعرضوا على ربك صفا

وحينئذ يبين الله سبحانه وتعالى لنا :

﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا

(سورة الكهف - الآية ٤٨)

خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وهنا يلفت انتباهنا قوله تعالى « صفا » . . هل سيفى الخلق
 جميعا من عهد آدم إلى يوم القيامة صفا واحدا ؟ . . وكم سيبلغ
 طول هذا الصف ؟ . . وأى مكان يتسع لكل هؤلاء الخلق من بدء
 الخليقة حتى نهيتها ؟

.. نقول إن المعنى يمكن أن يكون ذلك . . وأن قدرة الله تستطيع أن تخلق المكان . . وأن كل هؤلاء جميعا يقفون صفا واحدا . . والله قدرته لا تفوقها قدرة ، وكونه بلا حدود .
 وقد يكون المقصود من الآية هو أنهم لن يفلت واحد من الله سبحانه وتعالى . . ذلك أنك إذا أوقفت الناس أمامك صقوفا . . فإن الذى تراه وتلاحظه جيدا ، وتراقب كل حركته ، هم الموجودون فى الصف الأول . . أما أولئك الموجودون فى الصفوف : الثانى والثالث والرابع والآخر ستكون ملاحظتك لهم أقل ، بحيث يستطيع أى واحد منهم أن يتوارى فيمن هم أمامه . . ويفعل شيئا لا تراه أنت . . والله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن احدا من خلقه لن نستطيع أن يفلت ، ولو ثانية ، من مراقبة الله له . . وكانهم جميعا واقفون صفا واحدا . . لا يمكن لواحد منهم أن يتوارى فى شيء . . لأن كلا منهم لن يستطيع لا الإفلات ، ولا حتى مجرد الإتيان بحركة ولن يتجاوز أحد منزلته . . بل سيلزم مكانه فى الصف . . مكانه الذى حدد له بعمله فى الدنيا . . بالطاعة واتباع منهج الله .

كما خلقناكم

ومعنى قوله تعالى :

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

(سورة الكهف - الآية ٤٨)

إن الحياة التى نثرت فى ازمان مختلفة عللت لأصحابها فى هذا المكان . .

﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾

(سورة هود - الآية ١٠٣)

ومعناها ايضا انكم تركتم كل ما كان لكم في الحياة الدنيا من مال
وجاه وعزة وعزوة .

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ

(سورة الكهف - الآية ٤٨)

.. بدون اى قوة تمنعكم منا . . او عصبية تدافع عنكم . . او مال
يشفع لكم . . وليس معكم شفعاؤكم الذين كنتم تعتقدون في الحياة
الدنيا انهم سينفعونكم في هذا اليوم . . ولا الهتكم الذين عبدتموهم
من دون الله .

والمعروف ان كل إنسان في الحياة الدنيا قد يكذب على نفسه . .
فقد يعتقد زيفا في ان هناك من سينفعه ، او سينقذه من العذاب يوم
القيامة . . وقد يعتقد زيفا انه قد يستطيع ان يفلت ، او ان عذاب
الله سيكون يسيرا عليه ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة . . او قد يقول
أؤجل التوبة حتى اكبر ، ولكن بعد ذلك لا يمهله الاجل . . اى ان كل
إنسان قد يكذب على نفسه في امتدادات الامل . . وهذا حادث في
الحياة الدنيا . . فكل إنسان لديه امل كثيرة قد لا تتحقق ابدا . .
ولكنه يعيش على اساس انها ستتحقق . . ولكن هذا معناه الامل
الكاذب . . اى الامل الذى لن يتحقق . . ولكن إذا أصبحت المسألة
واقعا . . حينئذ لا يكون هناك امل . . بل يصبح هناك واقع فقط ،
كما سيحدث في الآخرة . .

وإذا اردنا ان نضرب لهذا مثلا ، وشه المثل الأعلى ، نقول : هب ان
طلبا اخذ يمنى نفسه بالامل الكاذب . . ويقول لنفسه انه ليس من
الضرورى ان احضر محاضرة ؟ فانا فاهم . . وليس من الضرورى
ان اسمع الاستاذ . فانا ساقرا الكتاب . . ويظل هكذا إلى ان ياتى
يوم الامتحان فيجد نفسه راسبا . .

هكذا الانسان في الحياة الدنيا . . يقصر في تطبيق منهج الله

فيقول انا لن اصيل اليوم ، ولكنى ساصلى غدا . . لن اؤدى الزكاة هذا العلم ، ولكنى ساؤديها في العلم القادم . . ويظل هكذا يهمل في تطبيق المنهج إلى ان ياتيه الأجل . . حينئذ يجد نفسه امام الحساب ، وامام الجزاء ، بدون ان يكون قد استعد لهذه اللحظة . . بل غرته الأملنى في حياته الدنيا .

والشيطان الذى استغل الإنسان ، وقعد له في كل طريق مستقيم . . ووسوس له في الدنيا . . وزين له ان يترك الصلاة اليوم على اسس انه سيصلى غدا . . وان يترك الزكاة إلى العلم القادم . . الخ . . ياتى يوم القيامة فيحاول ان يهرب من المسؤولية . . فيقول إنه لم يكن له سلطان على عباد الله ليقهرهم على المعصية . . والسلطان إما ان يكون قوة مادية تقهر . . ذلك بان اقيد إنسانا ثم اقوده إلى حيث أريد . . او اقيده ، ويجمله اعوانى إلى المكان الذى أريده . . او يكون السلطان هو سلطان الحجة . . بحيث يقنع الانسان ليفعل ما يريد الشيطان . . إذن فالسلطان إما قوة قهر افعل بها انا ما أريده بك . . او سلطان حجة وإقناع يجعلك انت تفعل ما أريده ، ولكن باختيارك . . والشيطان لم يعط سلطان القوة ، ولا سلطان القهر . . اى ان الشيطان ليس عنده حجة ليقتنع . وليس لديه سلطان قوة ليقهر . . ولكنه وجد فى داخل الانسان هوى ورغبة للمعصية فزينها له . . فلا يقول احدكم اليوم : انه مقهور لأن الشيطان لا يستطيع ان يقهركم على المعصية ، او حتى يقنعكم بها . . وكل اغواء الشيطان للنفس البشرية ، هو شهوات هذه النفس التى تريدها ، يزينها لها .

ودعوى الشيطان كاذبة . . ونحن نعرف انها كاذبة . . وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى ذلك فى اغواء الشيطان لآدم . . وقد قال الشيطان لآدم :

هَلْ أَدْرُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكِ لَيْلَىٰ

(سورة طه - الآية ١٢٠)

.. اى انه وعده بالخلود والمال الذى لا يفنى .. ولم ياخذ آدم
إلا المعصية والطرد من الجنة .. ولكن رغم اننا نعرف كذب
الشیطان .. فإن اغواءه يصادف هوى فى نفوسنا فنصدقه ..
ويقول الشيطان فى هذا الموقف الذى تخلت فيه الدنيا عن الانسان
العصى ..

مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ

(سورة إبراهيم - الآية ١٢٢)

.. اى ان الشيطان يقول : انا لا استطيع ان اتجيبكم من العذاب
اليوم .. ولا انتم تستطيعون ان تنجونى منه .. لأن الصراخ
معناه طلب النجدة من مصيبة لا يقوى الانسان على مواجهتها
بمفرده .. فإذا شب فى بيت إنسان حريق .. فإما ان يستطيع ان
يطفئه بنفسه ، فلا يصرخ طالبا النجدة ، وانما يقوم بإطفاء
الحريق .. واما إن كفت النار اقوى منه ومن قدراته ، فإنه فى هذه
الحالة يصرخ طالبا النجدة .. لأنه يواجه حدثا اقوى من قدراته .
وإذا هاجم الانسان لص ، فإنه إذا كان يقدر عليه واجهه ..
اما إذا لم يكن يقدر عليه .. كان يكون اللص اقوى منه .. فإنه فى
هذه الحالة يصرخ طالبا النجدة .

حين يسمع الناس الصراخ ، فهم نوعان : نوع لا يجد فى نفسه
المقدرة ، فلا يذهب إلى الصراخ لينجده .. ونوع آخر يجد فى نفسه
المقدرة فيذهب وينقذه ، وحينئذ يقال : اصرجه فلان ، اى ازال سبب
صراخه .

ولكن الشيطان يوم القيامة لا يستطيع ان يصرخ احدا . .
 لا يستطيع ان ينقذ احدا من العذاب . . ولا يستطيع احد ان
 يصرخه ، اى ينجيه من العذاب . . يقول الشيطان للعاصين . .

﴿ ١١٥ ﴾
 وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِينَ

(سورة ابراهيم - الآية ٢٢)

وخشعت الأصوات للرحمن

ولهذا يعطينا الله سبحانه وتعالى صورة دقيقة يوم الحساب
 فيقول :

وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا

(سورة طه - الآية ١٠٨)

ولقد الفنا في الدنيا انه ساعة ان يكون هناك حساب
 او محاسبة . . فإن الأصوات تعلو . . وكل واحد يجادل بقوته
 وصياحه . . كذلك الفنا ان الانسان ذا القوة والنوذ على الصوت
 دائما . . ومعنى علو الصوت هنا انه يستطيع ان يحقق
 ما يريد . . ذاك هما المعنيان المادى والمعنوى لأن تقول : فلان
 صوته عال . . وفى احيان كثيرة نقول سنرى إيا منا أعلى صوتا ، اى
 أكثر قدرة على تحقيق ما يريد .

وعلو للصوت المادى يبين ان صاحبه قوى ، او كما يقولون
 (مسنود) . . فالإنسان يعلو صوته عندما يحس بالقدرة . . ولكنه
 إذا كان مسكينا مغلوبا على امره ، فإنك تراه يقف ذليلا لا يستطيع
 صوته ان يتجاوز امتارا قليلة . .

فلو اخذنا علو الصوت على اساس مادي . . اى انه يمثل قوة ساعة المجادلة او المحاسبة . . او اخذناه على اساسه المعنوى . . اى انه يمثل القدرة على قضاء ما يريده . . فكل الامرين سيختفى في الآخرة . . فلا يستطيع إنسان ان يعلو بصوته على آخر مهما يكن هذا الانسان قويا في الدنيا ، والآخر ضعيفا فيها . . لان ارتفاع الصوت إعلام بمدى ظهور ذلك المستعل بصوته على الآخر . . إذن فسكون هناك مساواة كاملة . . فلا يوجد قوى دنيوى يستطيع ان يعلو بصوته على ضعيف دنيوى . . ولا سيد يستطيع ان يعلو بصوته على من كان يستعبدهم او يسيطر عليهم .

وهكذا تخضع الأصوات كلها ، فلا يوجد تمييز دنيوى بين الناس . بل تخفى كل الميزات في الآخرة ، ونصبح جميعا متساوين . . امام الله سبحانه وتعالى .

ويقال : خشعت الأصوات من هول الموقف امام الله . . ذلك اننا حين نقف امام الله منتظرين الحساب . . فإن هول الموقف يجعل الأصوات تخضع . . ونحن في الدنيا حين نقف امام رئيس دولة ، او حاكم . . فإننا نريد ان نتحدث مع بعضنا البعض ، نتحدث همسا ، او بصوت خافت مناسب للموقف الذى نحن فيه . . فكيف إذا كان الوقوف بين يدي الله . . حينئذ في هذه الحالة لا يجرؤ ملوك الأرض ، واعى العتاة فيها وجبايرتها على النطق إلا همسا .

هل سيحدث كلام ؟

ولكن هل سيكون هناك كلام وحديث بين الناس يوم القيامة ؟ . . الجواب عن ذلك : نعم . . ولذلك سمي يوم القيامة . يوم التناد . حيث ينادى بعض الناس أولئك الذين أضلوه في الحياة الدنيا . طالبين منهم ان يدفعوا عنهم العذاب ، او شيئا من العذاب ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿١٦﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَوْ أَوْلِيَاءَ الْعَذَابِ وَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْيَابُ ﴿١٦﴾ وَقَالَ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْوَأَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَأُوا مِنَّا كَذَلِكَ

يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَنْعَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ

(سورة البقرة - الآيتان ١٦٦ و ١٦٧)

.. وقول سبحانه وتعالى :

﴿١٧﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعُفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

كُلَّاكُمْ نَبَا قَهْلٍ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا

لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَلَمُ أَصْبَرْنَا مَا مَنَّا

مِنْ مَخِصٍ

(سورة إبراهيم - الآية ٢١)

ومن هذا نعلم انه سيكون هناك جدل بين الكفار وبين الذين اتبعوهم .. وان الكفار سيتبرأون من الذين اتبعوهم .. بل انه سيكون هناك حوار بين المؤمنين وغير المؤمنين ، وهم يساقون إلى ارض للعاد .. يبيننا به القرآن الكريم في قوله تعالى :

١١) يَوْمَ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَاتِقِمْسٍ مِنْ نُورِكُمْ
 قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ
 بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ١٢) يُنَادُوا لَهُمْ
 أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
 وَغَرَّبْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَنْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

(سورة الحديد - الآية ١٣ - ١٤)

بل انه سيكون هناك حوار او كلام بين اهل الجنة واهل النار
 مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ۖ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ ﴾

(سورة الاعراف - الآية ٥٠)

وكل هذا سنتعرض له بالتفصيل في الأجزاء القادمة من هذا
 الكتاب إن شاء الله ، ذلك أننا في هذا الفصل نحاول ان نعطي صورة
 لوقوف الناس بين يدي الله قبل الحساب .
 ولتكتمل الصورة لا بد ان نلقى الضوء على بعض الجوانب
 بالنسبة لما سيحدث في هذا اليوم العظيم . . يقول الله سبحانه
 وتعالى :

يَوْمَ بَيِّضٌ وَجْوهٌ وَتَسْوَدُ وَجْوهٌ

(سورة ال عمران - الآية ٧٦)

اي ان وجوه المؤمنين ستكون مثللثة بالنور ، بيضاء مليئة بالسرور .. بينما تكون وجوه غير المؤمنين مليئة بالانقباض ، سوداء مما ينتظرها من الهم والعذاب .. ويوضح الصورة اكثر قول الله سبحانه وتعالى :

خٰشِعِينَ مِنَ الدَّلٰلِ

(سورة الشورى - الآية ٤٥)

.. وذلك يرينا كيف ان الكفار والعاصين في يوم القيامة سيسخرون بذل رهيب بعد ان كانوا في الدنيا يملؤهم الكبر والكبرياء بما كانوا فيه من نعمة وجاه .. ولكنهم في يوم القيامة ذهب عنهم وسائل كبرياتهم الدنيوية ، وانتهت تماما وسائل صلفهم ، ووسائل غرورهم ، واصبحوا امام الله لا تحيط بهم إلا ذنوبهم .. وهكذا يغشى وجوههم النذل .

يوم تولون مدبرين

ولتصوير ما سيحدث بصورة تقربه إلى الأذهان حتى لا يأتي احد مجادلا يوم القيامة .. ويقول : يارب لو انك اخبرتنا بصورة ما سيحدث لكننا امانا .. ولكنك يارب لم تخبرنا .. يعطينا الله سبحانه وتعالى صورا كثيرة لهذا اليوم في قوله سبحانه وتعالى :

يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ

(سورة غافر - الآية ٣٣)

مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

.. ويقول الحق جل جلاله ..

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾

(سورة التكويد - الآية ٢٦)

.. ومعنى ذلك ان غير المؤمنين حين يرون هذا الهول الكبير يتمنون ان يهربوا من الله سبحانه وتعالى .. ولكن هل يستطيع إنسان مهما هرب ، ان يهرب من الله ؟ .. وإلى أين يذهب ؟ والملك كله ملك الله .

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾

وتكتمل الصورة اكثر بقوله تعالى :

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الْأُطْرُجُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾

(سورة الفرقان - الآية ٢٧)

أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا

.. اى ان الله سبحانه وتعالى يكون قد بين لنا الفرق بين صورة الظالم وصورة الكافر .. فالظالم هو الذى امن ، ولكنه ظلم نفسه بالمعصية .. ذلك من الندم يعرض على يديه ، لانه يعرف ان عذابا شديدا ينتظره .. اما الكافر فيعرف انه خالد مخلد فى النار ويرى النار وهولها .. وحينئذ يتمنى لو انه لم يكن مخلوقا من بشر .. بل كان جمادا لا يملك فكرا ولا إرادة ، لان فكره اضله .. وإرادته قادتته إلى العذاب ليخلد فيها .. وهو يعرف انه لن يخرج من النار .. وحينئذ يتمنى لو ان لديه ملء الأرض ذهبا ، ومثله معه ، فهو مستعد لأن يضحى بهذا المال كله لينجيه من العذاب .

وهذه الصورة تعطينا مدى استعداد الإنسان لأن يفدى نفسه من العذاب بأى شيء .. ذلك أن المال هو العزوة فى الدنيا .. والإنسان يحرص على ماله فى الدنيا ، ويحرسه ، ويدافع عنه أحيانا

بحياته . . ولكن هذا المال الذى له هذه القيمة الكبيرة فى الدنيا يكون فى الآخرة عديم القيمة والله سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لنا هول العذاب وتأثيره على نفوس البشر ، حتى إن الانسان يكون مستعدا أن يضحى بأى شىء . . بماله وبأولاده وبكل ما كان يعتز به فى الحياة الدنيا ، لينجو فى الآخرة .

ومع أن هذه الصورة قد أعطيت لنا فى القرآن الكريم ، وقرانها ونحن فى الحياة الدنيا . . وكان من الواجب أن تجعلنا نفزع ونفر إلى الله ونتبع منهجه . . وتلتصق بهذا المنهج حتى ينجينا الله من العذاب ، فإن كثيرا من الناس يسمع وصفا لهذه الصورة فى القرآن الكريم . . فلا يهتز قلبه ، لأن العذاب محبوب عنا فى الدنيا . . ولو أن واحدا منا رأى عذاب الآخرة لامتنع عن كل المعاصى الدنيوية . .

يبقى بعد ذلك استكمال الصورة التى رسمها القرآن الكريم بالنسبة ليوم القيامة . . فإله سبحانه وتعالى يقول :

وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى ﴿١٧٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى

(سورة طه - الايتان ١٢٥ - ١٢٦)

وقوله تعالى :

﴿ فالיום ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم
هذا ﴾

(سورة الأعراف - الآية ٥١)

وقول الله سبحانه وتعالى « أعمى » يمكن ان يكون معناه العمى
الدينوى ، لأن الكافر يوم القيامة ستحيط به ظلمات ذنوبه ،
فلا يرى شيئا ويمشى يتخبط . . ويمكن ان يكون معناه ايضا العمى
المعنوى ، وذلك من سوء ما ينتظره يوم الحساب . . يتخبط
كالاعمى تماما . . فاحيانا ياتيك خبر في الدنيا ، ويكون هذا الخبر
سيئا ، فتقول انا لم اعد ارى شيئا وتمشى وانت تتخبط . . ومعناه
ايضا ان المسائل تختلط على الكافر بسبب هوى النفس الذى كان
يتبعه ، فلا يستطيع نظره ان يميز شيئا ، فيمشى وهو يتخبط .
واستخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة « نَسَاهُمْ » ليس معناه ان
الله سينسى الظالم في الآخرة ، فلا يحاسبه . . ولكن الله ينساه من
موجبات رحمته فلا يرحمه . . ويظل الكافر والظالم يستغيثن . .
ولكن الله لا يستمع إليهما . . كذلك ينسى الله سبحانه وتعالى الكافر
من موجبات عفوه يوم القيامة ، فلا يعفو عنه ابدًا ، ويظل خالدًا في
النار . . ذلك ان هؤلاء الناس تابوا على منهج الله في الدنيا ونقضوه
ولم يعملوا به . . فكيف يريدون عفو صاحب المنهج في الآخرة ؟
وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾

(سورة الزمر - الآية ٦٩)

بانه لن تكون هناك شمس ولا نجوم ولا اقمار ، ولكن نور الله
سياتي مباشرة إلى خلقه ينير كل شيء .

إلى هنا ونصل إلى نهاية هذا الجزء من الكتاب - على ان يكون
الجزء الثانى ، إن شاء الله ، عن ساعة الحساب . . وكيف سيتم ،
والله يوفقنا لما فيه الخير والساد .



المحتويات

ص

■ الفصل الأول : ٥

معنى القيامة

■ الفصل الثاني : ٢٩

نهاية الحياة

■ الفصل الثالث : ٥٥

قانون ما بعد الحياة

■ الفصل الرابع : ٧٧

الله . . . والزمن

■ الفصل الخامس : ٩٤

علامات الساعة

■ الفصل السادس : ١١٥

إنقلاب في الموازين

■ الفصل السابع : ١٣٧

وجاء يوم القيامة

كتاب اليوم

انتبه
مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة:

طلعت الزهيري

العدد رمضان ١٤٠٧ هـ

٢٦٨ مايو ١٩٨٧ م

أيار

الصحافة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوي ٦ جنيه مصري

البريد الجوي

دول اتحاد الميريد ١٥ جنيه مصري

العربى والافريقي ١٣ دولار امريكي لوما يعمله

بالى دول الصلح ولوريا ٢٠ جنيه مصري

والايرينين واسبيا واستراليا ١٨ دولار امريكي لوما يعمله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن سبعة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ١٣ اش الصحافة

القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

سلطنة عمان ٨٠٠ بيعة

عزرة ٧٥ سنت اجلثوا ١٠٠ بنى

اليمن ٨٠ بنى فرنسا ١٠٠ فرنك

المانيا ٥٠ مارك

السنغال ٦٠٠ فرنك ايطاليا ٢٠٠٠ ليرة

اسعار

كتاب اليوم

المغرب ٣٥٠ فرنك

لبنان ٣٥٠٠ ق ل

الاردن ٦٠٠ فلس

العراق ١٥٠٠ فلس

الكويت ٧٠٠ فلس

السعودية ٧ ريال

السودان ١٥٠٠ مليما

تونس ١٤٠٠ مليما

الجزائر ١٢٥٠ سنتيما

سوريا ١٤٠٠ ق س

الحيشة ٦٠٠ سنت

الخليج ٦٥٠ فلس

في الخارج

هولندا ٥ فلورين

باكستان ٣٥ روبية

سويسرا ٤ فرنك

اليونان ١٠٠ دراخمة

النمسا ٤٠ شلن

الدنمارك ١٥ كرونات

السويد ١٥ كرون

الهند ٣٥٠ سنتا

كندا امريكا ٣٠ سنت

البرازيل ٢٠٠ كرويزو

نيويورك وانطر ٣٥٠ سنتا

لوس انجلوس ٤٠٠ سنت

استراليا ٢٠٠ سنت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٧ / ٣٥٣٩

التراقيم الدولي ٧ - ١٧٣ - ١٢٤ - ٩٧٧

مختارات من :

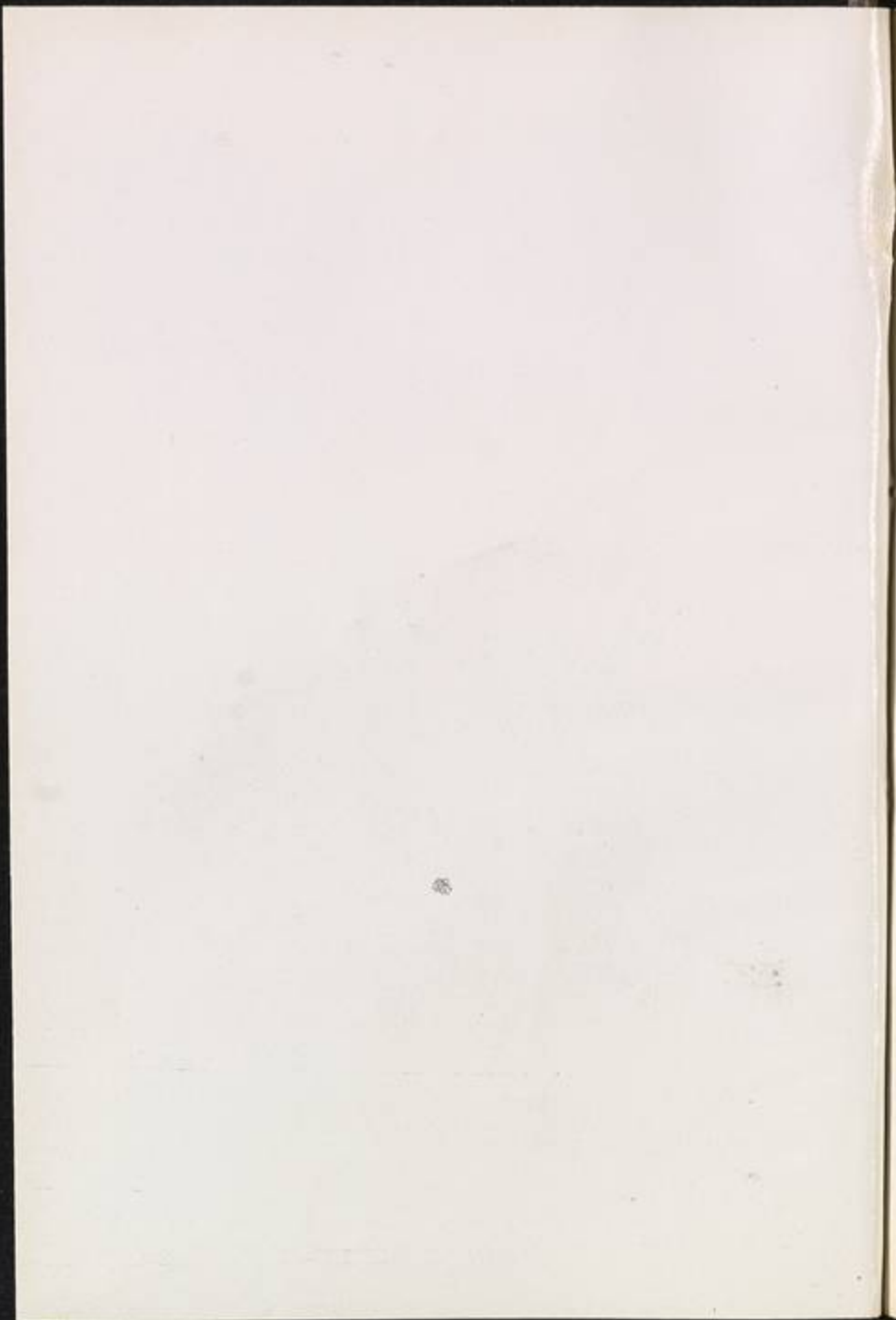
إسلاميات

للكاتب الإسلامي :

خالد محمد خالد



- العقل يرفض الاحاد .. ■ القرآن .. يحدثنا عن نفسه ..
- الصديق .. استاذ في الايمان ■ ما تقول لربك غدا ..
- يوم الطائف .. ■ الله .. والجنة ..
- الحكم القديس .. ■ العظمة .. تحت الاسفل ..
- الحسين بن علي .. في اليوم العظيم ..



معجزة القرآن



محمد متولى الشعراوى

٥٠ قرشا

100

1

100

1

80-961133

Sha'rāwī, Muhammad Mutawallī.
(Mu'jizat al-Qur'ān)

معجزة القرآن / محمد متولى الشعراوى . -
القاهرة : أخبار اليوم ، <1987> -1980.

v. <9> ; 20 cm. --

(كتاب اليوم ؛ الممدد 268) (رمضان
1407/مايو 1987))

ISBN 977-124-173-7 (v. 9) : £E0.50

(Continued on next card)



80-961133

Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī.
(Mu'jizat al-Qur'ān ... Card 2)

(v. 9)
On the Koran.
Egy-Islam



80-961133

Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī.
(Mu'jizat al-Qur'ān)

معجزة القرآن / محمد متولى الشعراوى • -
القاهرة : أخبار اليوم ، <1987> - 1980.
v. <9> ; 20 cm. --

(كتاب اليوم ؛ الممدد 268) (رمضان
1407/مايو 1987))

ISBN 977-124-173-7 (v. 9) : £0.50

(Continued on next card)



80-961133

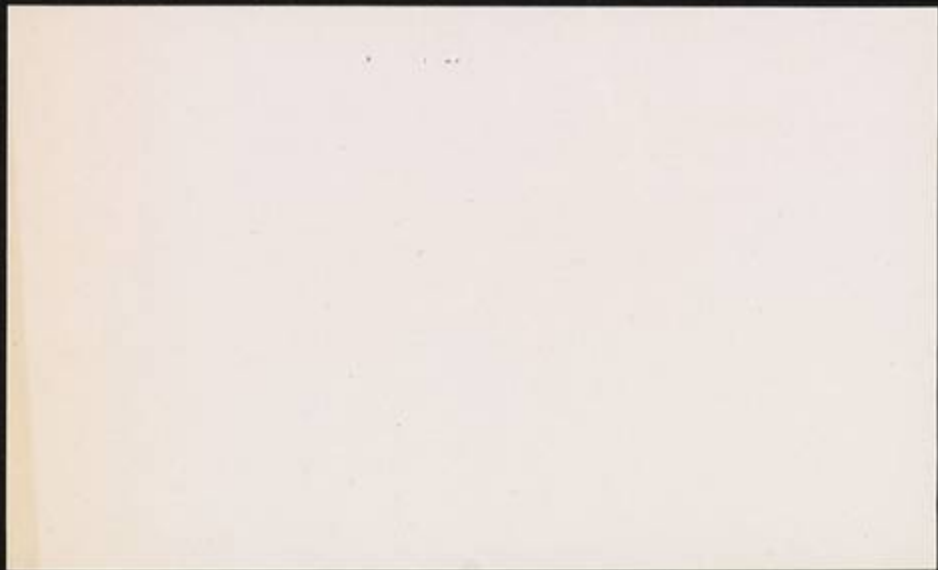
Sha'rāwī, Muhammad Mutawallī.

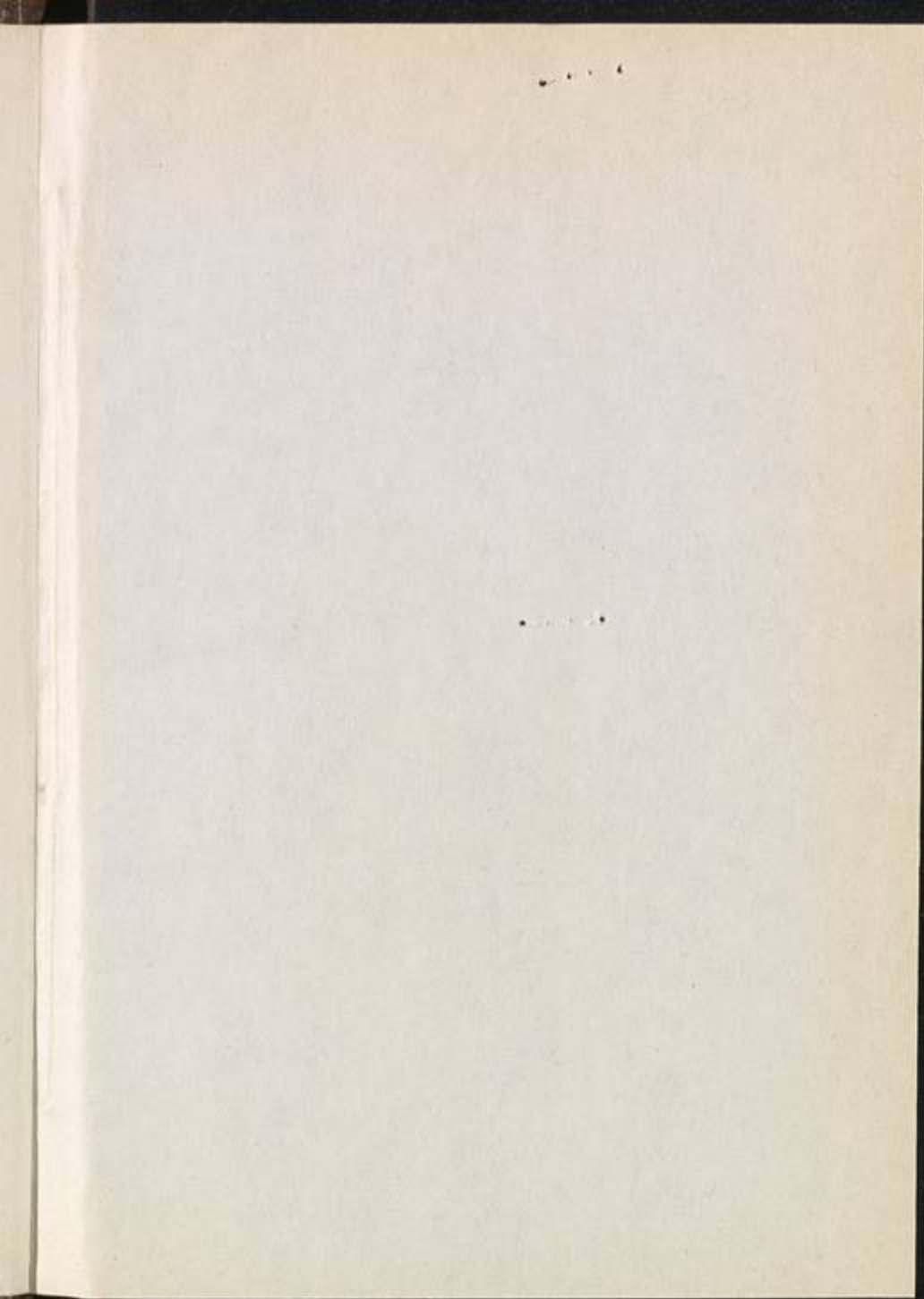
(Mu'jizat al-Qur'ān ... Card 2)

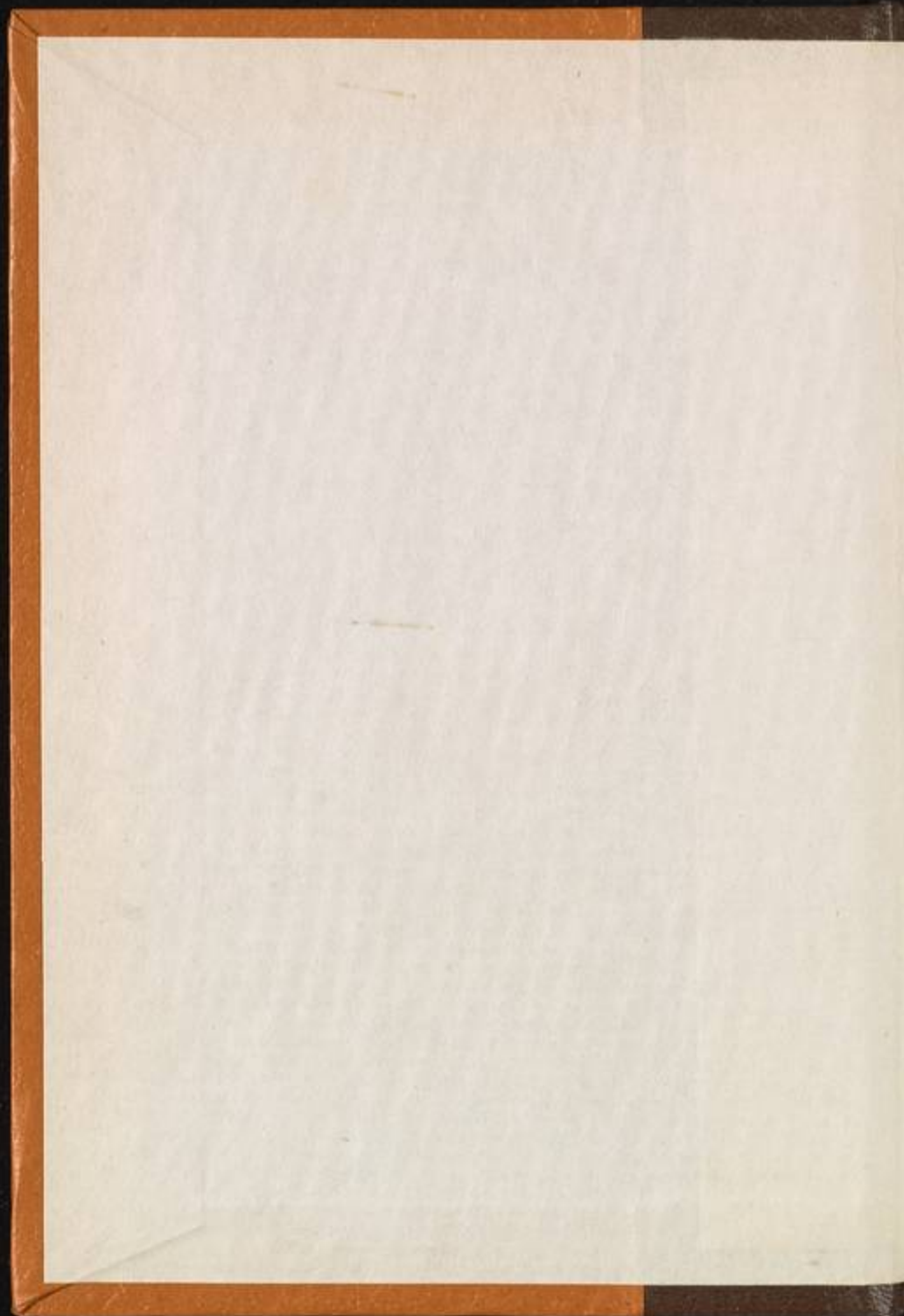
(v. 9)

On the Koran.

Egy-Islam







BP
130
.7
S529
JUZ '9